الفصل الثاني

الشعراء البدو

المبحث الأول: مروان بن ابي حفصة

المبحث الثاني: الحسين بن مطير

المبجث الثالث: ابن هرمة

المبحث الرابع: علي بن الجهم

المبحث الخامس: ابن ميادة

المبحث السادس: شعراء آخرون

المبحث الأول

مروان بن ابي حفصة

مولده ونسبه:

شاعر مخضرم، اسمه مروان بن سليمان بن ابي حفصة، ولقبه ذو الكمر. ولد في اليمامة سنة خمسة ومئة للهجرة، كنيته ابو الهيذام او ابو الهندام ويكنى ايضا بابي السمط لأن السمط اسم لأحد ابنائه كما جاء في قوله:[1]

أهلاً بطيف لأم السمط أرقنا ونحن لا صدود منا ولا كثب

أما نسبه، فهو موضع خلاف بين الرواة الذين ترجموا له في أصله؛ فقد ذهب بعضهم إلى أن جده يزيد المكنى بأبي حفصة كان طبيباً يهودياً، أسلم على يد عثمان بن عفان، وقيل على يد مروان بن الحكم. وادعت قبيلة عكل العربية أن أبا حفصة ينتمي إليها، وقد أجمع أهل اليمامة وغيرهم على صحة هذا الادعاء. إلّا أن أبا حفصة نفسه لم يقر لهم بذلك، حتى في عهد عبد الملك بن مروان.[2] كما أن حفيد أبي حفصة، وهو محمد بن ادريس بن يحي بن أبي حفصة، ينكر زعم قبيلة عكل أن جده أبا حفصة منهم، ويصرح بأنه من سبي فارس، نشأ في عكل وهو صغير،[3] والأرجح أنه فارسي الأصل، وكان من سبي اصطخر التي هاجمها المسلمون مرتين، وأصابوا منها ما شاءوا، وقد يكون أبو حفصة أحد من أصابوه، فنشأ في قبيلة عكل وهو غلام، ثم اشتراه عثمان بن عفان ووهبه فيما بعد إلى مروان بن الحكم.[4]

١- ابن النديم. الفهرست. دار المعرفة بيروت. ط ٢ ١٩٩٧. ص١٩٦

٢- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ج ١٠.دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ١٩٩٥. ص٩١

٣- المرجع نفسه ص٩١

٤- ابن خلكان- وفيات الأعيان- ج٤. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط١ ١٩٩٨. ص٤١٣

ولئن اختلفت الروايات في أبي حفصة، فإنها أجمعت على أنه كان مولى لمروان ابن الحكم.

وقف أبو حفصة إلى جانب مولاه يوم الفتنة المعروف بيوم الدار، الذي انتهى بمقتل عثمان بن عفان. وقد أبلى أبو حفصة البلاء الحسن في ذلك اليوم، ودعا رفاقه من المقاتلين إلى الصبر والثبات، وعدم القبول بالصلح مع الخصوم فقال:[1]

وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا أجل لا، ولا اخترت الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم جالدوا بأسيافكم لا يخلصن إلى الكهل

وقد جرح مروان بن الحكم في هذه المعركة فحمله أبو حفصة إلى دار امرأة من عنزة، وظل يداويه حتى تماثل للشفاء، فأعتقه مروان عرفاناً لجميله، وإلى ذلك يشير أبو حفصة بقوله:[2]

بنو مروان قوم أعتقوني وكل الناس بعد لهم عبيد

وزاد مروان في تكريمه إذ نزل له عن أم ولد تدعى بكر، كانت له منها بنت اسمها حفصة فحضنها وكني بها، جاء في الأغاني (فحفصة على هذا بنت مروان بن الحكم).[3]

أسرته:

كان مروان بن أبي حفصة من أسرة توارثت الشعر، فأكثر أهل هذا البيت رجالاً ونساء يقولون الشعر، وأولهم أبو حفصة الذي قال يوم معركة الجمل:[4]

لست على الزحام بالأصر إني لوراد حياض الشر

---

[1]– مروان بن ابي حفصة.– الديوان دار الكتاب العربي. ط ١. ١٩٩٣. ص٨

٢– المرجع السابق نفسه

٣ – الاغاني ج ١٠. ص٩

[4]– مروان –الديوان. ص٩

يقول ابن خلكان في هذه الأسرة:[1](إنهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر، يتوارثونه كابر عن كابر) وورث يحيي الشعر عن أبيه يزيد،فكان شاعراً كبيراً نظم في المدح والرثاء، والفخر والهجاء،وقال مفتخراً بعطائه:[2]

وقائلة ما بال مالك ناقصا وأموال أقوام سواك تزيد
فقلت لها إني أجود بما حوت يداي وبعض القوم ليس يجود

ومن شعراء هذه الأسرة، السمط بن مروان بن أبي حفصة، وابنه أبو الجنوب يحي الذي ورث الشعر عن أبيه السمط، ولكنه لم يكن محلقا مثله، و لأبي الجنوب ولد يدعى مروان، وقد سلك مسلك جده مروان بن أبي حفصة في معارضته للعلويين، وكان يتمتع بمنزلة رفيعة لدى المتوكل، وقد مدح المامون والمعتصم قبل خلافة المتوكل، وورث الشعر عن مروان بن أبي الجنوب؛ أبناؤه محمد ومحمود ويحيي.

ومن شعراء هذه الأسرة متوج بن محمود بن مروان بن أبي الجنوب وكذلك ادريس ابن أبي حفصة وابنه محمد، وعاصم بن أبي حفصة واخته آمنة وعبد الله ابن السمط، والمؤمل ابن جميل بن يحيي بن أبي حفصة، والرزين بن سليمان وابنه علي.[3]

ولاشك في أن شاعرنا مروان ابن أبي حفصة هو أشعر شعراء أسرته يقول الكسائي: (انما الشعر سقاء تمخض فدفعت الزبدة إلى مروان ابن أبي حفصة)[4] وقال دعبل الخزاعي: (كل من قال الشعر من آل أبي حفصة بعد مروان وأخوته وولده وولد ولده فمتكلف، وجهدنا أن نجد لهم بيتاً نادراً فلم نجده).[5]

١-ابن خلكان -وفيات الأعيان. ج ٤ ص. ٢٧٩[1]

[2]- مروان- الديوان -ص ٩

٣- مروان. الديوان- ص. ١٠

٤- البغدادي تاريخ بغداد - دار الكتب العلمية. بيروت لبنان .٢٠٠٤ . ج ١٣ . ص ١٤٥

٥- الجراح- ابو عبد الله محمد بن داوود الورقة- دار المعارف مصر. ط ٢. د. ت .ص. ٤٩

شخصيته:

كان مروان بن أبي حفصة بخيلاً جشعاً حريصاً على جمع المال وخزنه، عاش بكفاف، وحرم نفسه ملذات الدنيا وأطايبها، ولم ينتفع من ماله الوفير الذي حصل عليه من الخلفاء والأمراء، الذين مدحهم، وقد تحدث عن نفسه قائلا: (ما فرحت بشيء قط فرحي بمئة ألف درهم وهبها لي أمير المؤمنين المهدي،فوزنتها فزادت درهماً فاشتريت به لحماً).[1]

امتازت حياة الشاعر بالبساطة والاعتدال والبعد عن اللهو والمجون، والاسراف فلم يتعرض لفتاة، ولم يقصف في حانة خمر، يقول طه حسين: (.. فلم يكن مروان ماجناً ولا عابثاً ولا زنديقاً).[2]

وكان مروان بشع المنظر ولا يعتني بمظهره، يحافظ على لباسه البدوي الخشن، قال المرزباني في بشاعته: (كان شيخاً متدانياً يستبشع منظره).[3]

علاقته ببني أمية:

كانت العلاقة وثيقة بين جد الشاعر أبي حفصة ومروان بن الحكم الذي أعتقه وولاه خراج اليمامة،نظراً لما يبذله في سبيل إنقاذه حين جرح في يوم الدار، وكان لابد أن يحافظ شاعرنا مروان بن أبي حفصة على هذه العلاقة ويعمل على توطيدها. فكانت أول زيارة له إلى الشام في عهد الوليد بن يزيد بصحبة أعمامه، وزاره ثانية بصحبة الحسين بن مطير، وطريح

---

[1] -الأصفهاني- الاغاني. ج. ١٠. ص ٩٨

٢-طه حسين. حديث الاربعاء. دار المعارف-ط١٠-مصر-د.ت.ج٢ ص٢٢٦

٣- المرزباني: الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران- معجم الشعراء -تصحيح وتعليق : أ.د. ف كرنكو- مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان-ط٢- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م -ص٣١٧

بن اسماعيل الثقفي، وكان ذلك عام ١٢٥ للهجرة. نظم مروان الشعر ولم يبلغ العشرين من عمره.[١]

وقد مدح خلفاء بني أمية وأمراءهم، إلا أن أشعاره في بني أمية ما زالت مفقودة، وقد أضاعتها الحروب، وربما أخفى مروان بعض مدائحه إثر سقوط الدولة، وذلك خوفا من الحكام الجدد.[٢]

علاقته بمعن بن زائدة الشيباني وببني العباس:

بعد سقوط الدولة الأموية، لازم الشاعر اليمامة حتى عام ١٤١ هـ، حيث ولى أبو جعفر المنصور معن بن زائدة الشيباني اليمن،تقديراً منه لنجدته له يوم الهاشمية، إذ هاجمته جماعة من أتباع أبي مسلم الخراساني، وكاد المنصور أن يقتل قي ذلك اليوم.أكرم المنصور معناً وآمنه،وكان معن فارسا مقداماً وجواداً سخياً ، وكان من طليعة المدافعين عن ملك بني أمية.

ذاع صيت معن في اليمن إثر تكريم المنصور له، وراح الشعراء يقصدونه مادحين، فيجزل عليهم من عطائه. وهذا ما دفع مروان بن أبي حفصة إلى أن يفد اليمن مادحاً معناً بقصائد تعتبر من آيات المديح العربي، خلدت الشاعر وخلدت ذكر معن الذي حباه بسخائه، وفي خبر شرائه بيت امتدح به معن:[٣] (اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو ينشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد، وإن قتل قبل أن يلقاه وينشده إياه، أوله:

مروان يابن محمدٍ أنت الذي زيدت به شرفاً بنو مروان

٤-مروان -ديوانه. ص. ١٢

[٢] – مروان -ديوانه. ص. ١٢

[٣]-الأصفهاني-الأغاني-ج١٠-ص٩٦

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهلي حتى أقام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعت قصيدتك وأعجبتني، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قد رمته عنده؛ أتبيعني القصيدة حتى أنتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلثمائة درهم. قال: ابتعتها؛ فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المحرجة ألا ينتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشدها، وانصرف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ

ووفد بها إلى معن بن زائدة فملأ يديه،وأقام عنده مدةً حتى أثرى واتسعت حاله. فكان معنٌ أول من رفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراثٍ حسنةٌ). ونال من معن ما لم ينل أحد من الشعراء، وظلت علاقة الشاعر بمعن متينة حتى مقتل معن على يد الخوارج سنة ١٥٣ هـ.

حزن عليه الشاعر حزنا شديدا ورثاه بقصيدة ضمنها فواجعه وآلامه، وعدد فيها مآثرمعن وفضائله الجمة.[١] وبقي مروان على صلة بأبناء معن يمدحهم دون أن يحظى منهم ما حظيه من والدهم. فقرر التوجه إلى بغداد طمعاً بعطايا بني العباس وأمرائهم، وكان اسمه وشعره قد سبقاه الى هناك. وكانت رحلته الأولى إلى بغداد في عهد الخليفة محمد المهدي، الذي مدحه الشاعر في قصيدة مطلعها:[٢]

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله وأقصرن عنه حين أقصر باطله

١- مروان-الديوان -ص١٣

٢- السابق نفسه -الصفحة نفسها

وبقي الشاعر في كنف بني العباس يمدح خلفاءهم وأمراءهم حتى لمع نجمه في عهد الخليفة هارون الرشيد، وحظي منه ما تمناه من مال ومن رفعة المنزلة، وأصبح شاعره المفضل، الأمر الذي دفع ببعض الشعراء إلى مدح الخليفة وبني العباس بغية الظفر ببعض ما ظفر به مروان.

ولم ينج شاعرنا من حسد الحاسدين وكيدهم، وكان سلم الخاسر أكثر الشعراء حسدا لمروان، وقد تباهى يوما أمام مروان بجائزة نالها من الخليفة وقبضها دفعة واحدة، في حين كان مروان يقبض جوائزه مقسمة، فرد مروان على سلم هازئا ساخرا في قصيدة مطلعها:[1]

أسلم بن عمرو قد تعاطيت خطة تقصر عنها بعد طول عنائكا

ومما قاله في رده على حساده:[2]

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وكذلك قوله:[3]

وُحسدت حتى قيل أصبح باغيا في المشي مترف شيمة مختالها

ولم يقتصر الشاعر في مدحه على الخلفاء فقط بل مدح البرامكة ووزراء الرشيد منهم يحيي بن خالد البرمكي وولديه الفضل وجعفر، كما مدح عبد الله بن طاهر وغيره. يعتبر مروان شاعر الدولتين الأموية والعباسية.

[1] –مروان– الديوانه–ص٨٥

[2] –مروان– الديوان –ص٦٨

[3] - مروان- الديوان -ص ١٠٨

وفاته:

اغراق الشاعر في مديح خلفاء بني العباس والمجاهرة بالدفاع عن حقهم في الخلافة، ومعارضته العلويين بشدة؛ زادت من حقد العلويين عليه، فتربصوا به شراً سيما بعد قوله:[1]

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

ويذكر أن أحدهم ويدعى صالح بن عطية الأضجم، وكان قد عاهد الله على أن يقتل الشاعر انتقاماً منه لموقفه المعادي للعلويين. وقد استطاع أن يوهم مروان بصداقته، وظل يلازمه طوال وقته مبدياً له كل لطف ومحبة، حتى مرض الشاعر من حمى ألمت به، فزاد من إظهار مودته له وملازمته إياه، وذات يوم خلا به، وأمسك بعنقه ولم يتركه حتى قضى عليه. ثم انبرى يتباكى مع أهله عليه ولم يفطنوا لفعلته. وكانت وفاته زمن الخليفة الرشيد سنة ١٨١ هـ لما وردعن ادريس بن سليمان بن أبي حفصة قوله: (إن وفاة مروان كانت سنة ١٨١ هـ)[2]

بيد أن الجاحظ يحدد تاريخ وفاته بسنة ١٨٢ هـ.[3] وكذلك يقول المرزباني (إن وفاة مروان كانت في شهر ربيع الأول سنة ١٨٢ هـ، وأنه دفن في مقابر نصر بن مالك الخزاعي، وهي المعروفة بالمالكية).[4]

---

[1] – مروان–الديوان– ص١٧

[2] – البغدادي– تاريخ بغداد– ج ١٣ ص ١٤٥

[3] – الجاحظ –البيان والتبيين– ج٣–ص٢٨٩

[4] – المرزباني –معجم الشعراء – ص٣١٧

أغراض شعره:

المديح:

يعتبر المديح أهم أغراضه الشعرية، وقد اتصفت مدائحه غالبا بالمعاني التقليدية، وقد تحول الشاعر بمدحه العباسيين إلى الدفاع عن سياستهم والترويج لحقهم في الخلافة، ومعارضا خصومهم العلويين. وعلى الرغم من أن شاعرنا كان يتنقل بين قصور الخلفاء والأمراء مادحا ومتكسبا، وضروب الحضارة تحف به من كل جانب، إلا أنها لم تؤثر في أسلوبه التقليدي وطريقته في كتابة الشعر واتباعه لمذهب الاوائل، فنجده يتبع المنهجية القديمة في نظم قصائده من حيث استهلالها بالغزل والطلل،ثم الاستطراد الى وصف الناقة وصولاً الى الغرض الشعري. قال يمدح معن بن زائدة الشيباني: [1]

وَيومٍ عَسولِ الآلِ حامٍ كَأَنَّما ... لَظى شَمسِه شَبوبُ نارٍ تَلَهَّبُ
نَصَبنا لَهُ مِنّا الوُجوهَ وَكُلُّها ... عَصائِبُ أَسمالٍ بِها تَتَصَبَّبُ
إِلى المُجتَدى مَعنٍ تَخَطَّت رِكابُنا ... تَنائِفَ فيما بَينَها الريحُ تَلعَبُ
كَأَنَّ دَليلَ القَومِ بَينَ سُهوبِها ... طَريدُ دَمٍ مِن خَشيَةِ المَوتِ يَهرُبُ
بَأَنا عَلَيها وَهِيَ ذاتُ عَجارِفٍ ... تَقاذَفُ صُعراً في الوُحى حينَ تُجذَبُ
فَما بَلَغَت صَنعاءَ حَتّى تَبَدَّلَت ... طُلوماً وَقَد كانَت مِنَ الجَهلِ تَشغَبُ
إِلى بابِ مَعنٍ يَنتَهي كُلُّ راغِبٍ ... يُرَجّي النَدى أَو خائِفٍ يَتَرَقَّبُ
جَرى سابِقاً مَعنُ بنُ زائِدَةَ الَّذي ... بِهِ يَفخَرُ الحَيّانِ بَكرٌ وَتَغلِبُ
فَوَزَّ حَتّى ما يُجارى وَإِنَّما ... إِلى عِرقِهِ يُمنى الجَوادُ وَيُنسَبُ
مَحالِفُ صَولاتٍ تُميتُ وَنائِلٍ ... يَعيشُ بِما يَفكُّ يُرجى وَيُرهَبُ

فالشاعر يصف رحلته في ذلك اليوم شديد الحرارة، حتى يصل إلى ممدوحه، مستخدما الكثير من الألفاظ البدوية ذات المعاني الصعبة التي نجدها عند شعراء العصر القديم. ومن هذه العبارات التي تدل على بداوة الشاعر وتمسكه بنهجه القديم،(الآل) بمعنى

[1]- مروان- الديوان- ص ٢٣

السراب، (عصائب) مفردها عصابة أي ما عصب به من منديل ونحوه أو ربط به، (أسمال) جمع سمل وهو الرث من الثياب، (تنائف) مفردها تنوفة وهي الأرض القاحلة، تلقب، تحف وتضعف في وصفه للريح. كذلك وصفه للأرض: سهوب مفردها سهب وهو البعيد السهل من الأرض، والمعنى أنه لا احد يقوى العيش على تلك الأرض حتى أن دليل القوم يأنف البقاء فيها وتراه يفر منه كالقاتل المطارد. ويستمر الشاعر في وصفه لرحلته على تلك الأرض، ويصف لنا ناقته التي أقلته في هذا الطريق، فينتقي من الألفاظ (عجارف) جمع عجرفة أي سريعة الجري. (تتقاذ) بمعنى تسرع، (صعر) إمالة الخد تهاونا وكبرا. (البرى) جمع برة وهي الحلقة في أنف البعير،(تجذب) بمعنى تجد في السير. ووصفها عندما وصلت صنعاء وخفضت من سرعتها (حلوما) وقد كانت تبدي الممانعة (تشعب).

وأول ما يصف به ممدوحه بعد وصوله صفة الكرم، وهي الصفة الغالبة على الممدوح والمعروف بها بين قبائل العرب.والذي ينتهي الى بابه كل راغب في العطاء، وكل خائف يطلب الأمان. ووصفه بأنه موضع فخر للقبائل المتحالفة أو المتخاصمة أمثال بكر وتغلب. فكان في الصدارة دائما حتى لا يستطيع أحد أن يجاريه وينافسه. ثم يصفه في ساحة القتال بأنه محالف صولات (والصولة) هي السيطرة في ميدان القتال. (بريش فما ينفك يرجى ويرغب) وبريش بمعنى يسخو، ويرعب بمعنى يراع، فأثبت الشاعر صفات المدح والكرم والشجاعة لممدوحه، بأنه المرتجى في العطاء والمهاب في ساحة القتال. ومدح الفضل ابن يحيي فقال:[1]

ما الفضل إلا شهاب لا أفول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق يبقى على جود كفيه ولا ذهب
يعطي اللها حين لا يعطي الجواد ولا ينبو إذا سلت الهندية القضب
قد فاض عرفك حتى ما يعادله غيث مغيث ولا بحر له حدب

[1]– مروان –الديوان –ص ٢٦

شبه الممدوح بالشهاب، وهو الكوكب شديد اللمعان الذي لايغيب، وبعد أن وصفه لنا في ساحة القتال، يتحدث لنا عن كرمه مستخدما من العبارات (اللها) جمع اللهوة وتعني الجزيل والجيد من العطاء. ويؤكد كرمه وعطاءه حين يعجز أهل الكرم من العطاء، فإن الفضل يعطي أفضل ما يملك، وكذلك سيفه يبقى مسلولا جاهزا للقطع، ويعني الشاعر أنه كريم وشجاع في كل الظروف والأحوال، ثم يشبه كرمه الفياض أنه أقوى من المطر الغزير والبحر مرتفع الأمواج. ونلاحظ أن الشاعر استخدم في وصف ممدوحيه التشبيهات من البيئة التي يعيش فيها. الشهاب– البحر – المطر. وكذلك الألفاظ كلها من بيئته البدوية.

وقال يمدح الخليفة الهادي:[1]

فما بلغت حتى حماها كلالها اذا عريت أصلابها أن تقيدا
تشابهتما حلما وعدلا ونائلا وحزما اذا أمر أقام وأقعدا
تنازعتما نفسين هذي كهذه على أصل عرق كان أفخر متلدا

وهنا يصف نياق السفر أصلابها أي ظهورها، وكلالها أي تعبها، موضحا مشقة السفر الطويل، ويرمي بذلك إلى أن الناس يقصدونه من أماكن بعيدة طلبا لنواله. ثم يصفه بالحلم والعدل والكرم والحزم في كل الأمور. فممدوحه يشبه أبيه في هذه الصفات، فكلاهما من أصل عريق يفتخر به. وأشار شاعرنا إلى تشبيه قديم عند العرب، بأن الممدوحين يتشابهان في كل شي كما تشابه النعل أختها في قوله:[2]

كما قاس نعلا حضرميا فقدها على أختها لم يأل أن يتجودا

قدها يعني قطعها، ولم يأل بمعنى لم يتردد في البذل. فتشبيههما بتشابه النعل واضح فيه ملمح البداوة البعيدة عن التذويق والانتقاء للجميل.

---

[1] – مروان– الديوان ص ٤٠

[2] –المرجع السابق–الصفحة نفسها

وقال في مدح المهدي:[1]

خلت بعدنا من آل ليلى المصانع وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع
أبيت وجنبي لا يلائم مضجعا إذا ما اطمأنت بالجنوب المضاجع
أتاني من المهدي قول كأنما به أحتز أنفي مدمن الضعن جادع
ومالي إلى المهدي لوكنت مذنبا سوى حلمه الصافي من الناس شافع

فمطلع القصيدة تتضح فيه روح البداوة والسمات التقليدية. رحيل المحبوبة عن ديارها وتركها خالية أثار فيهم الشوق، ولم تغمض له عين بعد فراقها، ولو كان مكان المنام مريحا. ثم يطلب العفو من المهدي بعد أن أوشوا به لدى المهدي، فيمدحه شاعرنا بالحلم طالباً الشفاعة والسماح.

الفخر:

كان شاعرنا يفتخر بعطاء الخلفاء وجوائزهم.قال مفاخراً ومعيراً سلم الخاسر بقلة جائزته.[2]

أسلم بن عمرو وقد تعاطيت خطة تقصر عنها بعد طول عنائكا
وإني لسباق إذا الخيل كلفت مدى مائة أوغاية فوق ذلكا
فدع سابقاً إن عاودتك عجاجة سنابكه أوهين منك سنابكا

(والسنابك) جمع سنبك وهو طرف الحافر. (أوهين) بمعنى أضعفن.(العجاج) هو غبار الحرب. والشاعر يفتخر باقدامه حين يدعى الفوارس إلى الحرب،ويعير سلماً الخاسر فيما معناه: مالك والحرب فلست بأهل لها وكذلك خيلك.

[1]–المرجع السابق نفسه– ص ٧٦
[2]– مروان –الديوان –ص ٨٥

ويقول مفاخرا:[1]

حبيت بأوقار البغال وإنما سراب الضحى ما تدعي من حبائكا

ويعني أنه منح من العطاء ما تعجز عن حمله البغال، أما نصيبه فكان قليلاً يشبه سراب الضحى الذي لا يكاد يرى. ثم يقول:[2]

فأقسم لولا ابن الربيع ورفده لما ابتلت الدلو التي في رشائكا

والرشاء هو حبل الدلو، والمعنى أن الفضل أعطاك قليلاً، ولكنك لم تحصل على شيء من سواه. وهذه العبارات (الرشاء)، (السراب) نجدها تكررت عند شعراء العصر الجاهلي، قال بشر بن أبي خازم في هجاء قبيلة بني لأم:[3]

ألا أبلغ بني لأم رسولا فبئس محل راحلة الغريب
اذا عقدوا لجار أخفروه كما غر الرشاء من الذنوب

وقد شبه الشاعر نقضهم للعهد بانقطاع حبل الدلو، وهو تشبيه من البيئة البدوية التي تستخدم الدلو وهو من أساسيات حياتهم، بعد أن وصفهم بعدم احترامهم وإكرامهم للضيف.

---

[1]–مروان –الديوان ص ٨٦

[2]–السابق نفسه الصفحة نفسها

[3]–بشر بن ابي خازم . الديوان .شرح مجيد طراد–دار الكتاب العربي –بيروت–ط١١٩٩٤–ص٣٣

الرثاء:

ومن أروع مراثيه قوله في رثاء معن بن زائدة الشيباني؛ وكان الشاعر من المقربين إليه ومدحه كتيراً وأغدق عليه معن الكثير من الهدايا. فكان موت معن فاجعة أليمة في نفس الشاعر، فرثاه بعبارات ملؤها الحزن والحسرة على فراقه، وفقد الدنيا لمثل هذا الرجل المتفرد بعطائه وصفاته الفاضلة. قال:[1]

مضى لسبيله معن وأبقى ... كارم لن تبيد ولن تُنالا
كأن الشمس يوم أصيب معن ... من الإظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت نزار ... تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن ... وقد يروي بها الأسل النهالا

فذكر هنا من العبارات (الجلال) جمع جل وهو لباس الدابة الذي تصان به، ويقصد يوم مماته حجبت الشمس نورها من الأرض حزنا عليه، ويشبهه بالجبل في قوته، وتفخر به قبيلة نزار في قضائه على الأعداء، والآن بعد مماته لم تعد ثغور بلاده في مأمن من الأعداء بعد أن كانت تصدهم في حياته. والثغور جمع ثغر وهو االفتحة في حدود االبلاد، والأسل هي الرماح والنهال بمعنى المتعطشة.

ثم يكرر شدة شوقه وحزنه على فراق المرثي، مستخدما أسلوب الذكر ليؤكد إحساسه بالحزن،ذاكراً مآثر الميت، وكيف يكون الحال من بعده. يقول:[2]

وقد كنا بحوضك ذاك نروى ... ولانرد المصردة السجالا
فلهف أبي عليك إذا العطايا ... جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف أبي عليك إذا الأسارى ... شكوا حلقا بأسوقهم ثقالا
ولهف أبي عليك إذا اليتامى ... غدوا شعثا كأن بهم سلالا

[1] – مروان–الديوان– ص٩٥
[2] –مروان–الديوان– ص٩٩

ولهف أبي عليك إذا المواشي قرت جدبا تمات به هزالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا لها تلقى حواملها السخالا
ولهف أبي عليك إذا القوافي لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل أمر يقول له النجى الا احتيالا
أقمنا باليمامة إذ يئسنا مقاما لا نريد له زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

(المصردة) من التصريد وهو القليل من الشرب، (السحال) هو الحوض الذي قل ماؤه. والمعنى: وهبتنا الكثير من عطاياك، ولم نكن نقصد لحاجتنا البخلاء الأشحاء. ونجده ذكر من الذين افتقدوه وأوضح أثر بعد المرثي عنهم في نفوسهم. الأسرى، اليتامى، الحرب، قصائد المدح، الصديق أو النجي، سيذكرونه في كل أمر يستدعي حلا أو علاجا، وبعد موتك، يقول سئمنا الإقامة باليمامة، ولكن إلى من نأوي بعدك لسؤاله حاجتنا، فلا نوال بعدك.

ولا تخفى علينا عبارات الحزن والأسى التي صاحبت الأبيات، منبعثة من عاطفة حرى تعاني من الآلام والجزع على فراق المرثي، كما لا يخفى علينا استخدام الشاعر للألفاظ البدوية وطريقته التقليدية وأثر البيئة في أبياته.

الهجاء:

ذكرنا أن أهم الأغراض التي كتب فيها مروان، المدح والرثاء وله بعض الأبيات في الفخر، أما الهجاء والغزل لم تكن له فيه قصائد طويلة إلا بعض الأبيات.قال هاجياً بعض رواة الشعر:[1]

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك لا يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح مافي الغرائر

وزوامل جمع زامل وهو البعير، والأباعر جمع بعير، الأوساق حمل البعير، والغرائر هي الأوعية. والمعنى أنهم يحفظون الشعر ويروونه، دون أن يميزوا حسنه من رديئه، شأنهم كالبعير التي تحمل أثقالاً لا تعرف ماهيتها.

الغزل:

الغزل عند مروان بن أبي حفصة لا نجده في قصيدة منفصلة، شأنه في ذلك شأن من سبقوه من شعراء العصر القديم، فنجده في مقدماته من قصائد المديح كأن يقف على ديار المحبوبة ويصف الرحلة حتى وصوله للممدوح.قال متغزلاً :[2]

شفاء الصدى ماء المساويك والذي به الريق من خمل يغازلها طفلُ*
فيا حبذا ذاك السواك وحبذا به البرد العذبُ الغريض الذي يجلُو*

والمعنى أن ريقها يزيل العطش، وفمها تنبعث منه رائحة زكية كرائحة الروض عند المساء. وأنعم بذاك الريق الذي يجلو أسنانها ويبقيها ناصعة البياض.

---

[1] –مروان –الديوان– ص٧٠

١ – السابق نفسه– ص١١٢

* الصدى: العطش. ماءالمسويك: الريق. خمل: روض. يغازلها: بداعبها. طفل:المساء

* البرد: الأسنان الناصعة البياض.الغريض الناصع البياض. يجلو :يلمع لنظافته

مميزات شعره ومكانته الشعرية:

كان مروان شديد الإعتناء بشعره، يدقق في قصائده،ينقحها ويراجعها، ويعرضها على مشاهير الأدباء، متوخياً تقويمها والنظر فيها بغية الإطمئنان إلى جودتها، وكان بعرض قصائده على بشار بن برد، ويونس بن حبيب، وخلف الأحمر ومحمد بن سلام الجمحي.[١]

يقول الأصمعي في إعتناء مروان بشعره: (مروان متكلف يشبه زهير والحطيئة)،[٢] ويقول مروان نفسه: (كنت أعمل القصيدة في أربعة أشهر، وأحككها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة أشهر، ثم أخرج بها إلى الناس).[٣] ويقول ابن المعتز في مروان وشعره: (إنه من المجيدين المحككين للشعر).[٤]

وقد أتبع شاعرنا المنهجية القديمة في نظم قصائده من حيث استهلالها بالغزل والطلل، ثم الاستطراد إلى وصف الناقة وصولا إلى الغرض الشعري.

يقول الشريف المرتضي: (.... كان مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ،غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها.فلذلك قلت النظائر في شعره. ومدائحه مكررة الألفاظ والمعاني. وهو غزير الشعر قليل المعنى. إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق، وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وطبقته وأشهر شعراء أهله. ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ، وتدقيق المعانى، وحسن الألفاظ،ووقوع الشبهات، ودون بشار بن برد في

---

[١]– مروان– الديوان –ص١٥

[٢]– الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع– فحولة الشعراء – ش. تورّي –تقديم د. صلاح الدين المنجد –دار الكتاب الجديد، بيروت –لبنان–ط٢ –١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م–ص ٤٨

[٣]– الأغاني ج١٠ ص ١٠٢

[٣] - ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي– طبقات الشعراء– تحقيق:عبد الستار أحمد فراج– دار المعارف – القاهرة–ط٣– ص ٤٥

الأبيات النادرة السائرة، وكأنه طبقة بينهما، وليس بمقصر دونهما شديدا ولامنحط عنهما بعيداً)[1]

ويقول الأصمعي: (.... وبشار أشعر لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه، فلم يلحق بمن تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره. وإن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به، وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعر وأقوى على التصرف، وأغزر وأكثر بديعا، ومروان آخذ بمسالك الأوائل).[2]

فالأصمعي يوافق الشريف المرتضي في تفضيل بشار على مروان بن أبي حفصة ، وهنالك من يفضله على بشار ومسلم، كما جاء في الأمالي، (أما إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأبو عمرو بن االشيباني، فكانا يفضلانه على بشار ومسلم).[3]

وكان ابن الأعرابي يعتبر شعر مروان خاتمة الشعر العربي. ورد في الأغاني (...في حين كان ابن الأعرابي يختم به الشعراء وما دون لأحد بعده شعرا).[4]

نجد أن الشاعر كتب في معظم الأغراض الشعرية، وخصص مدحه للخلفاء والأمراء لنيل عطاءهم، وأثر بيئته البدوية انعكس في شعره بصورة واضحة.

---

[1]– المرتضي، الشريف–أمالي المرتضي–تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم– دار إحياء الكتب العربية –ط١–١٩٤٥م.ج١ ص ٥١٨

[2] الأصمعي–فحولة الشعراء ص ٣٧ _ ٥١

[3]– المرتضي،الشريف – الأمالي –ج١ ص ٥١٨

[4]– الأصفهاني –الأغاني ج ١٠ ص١١٢

المبحث الثاني

الحسين بن مطير الأسدي

الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي ،أحد شعراء العصر العباسي ، وقيل أنه من موالي بني أسد ، ويرجح أنه ولد في بداية القرن الثاني ، وهو من أهل الجزيرة العربية من قرية يقال لها (زبالة) في طريق الحجاج بين مكة والكوفة.

ونشأة الحسين بن مطير في هذه البيئة التي جعلته يحمل سمات أهل البادية، ويتحلى بصفاتهم ومميزاتهم، فعاش البادية إحساسا وحقيقة، لذا نجده في تعبيره ينحو مذهب الأعراب أهل البادية. أما شعره فهو مرحلة بادية التطور بين العهدين الأموي والعباسي.[1] وإن البداوة والصحراء تشدانه اليهما في كثير من طرق تعبيره وشطحات خياله.

وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وأول ما يعرف عن أخبار اتصاله بالخلفاء و الأمراء بوصفه شاعرا كان أمام الوليد بن يزيد، واتصل بالأمير العربي معن بن زائدة الشيباني والي اليمن زمن أبي جعفر المنصور ومدحه في مناسبات عدة ولما قتل معن رثاه رثاء جيدا مشهورا. وكان أول اتصاله بالخلفاء العباسيين قد بدأ بالمهدي فمدحه وأجزل لله المهدي العطاء واستمر معه الى أن توفي ١٧٠هـ وقيل ١٦٩.[2] يقول عنه الشكعة:[3] (الشاعر كان ذكيا طموحا، ثقف نفسه وزاد شعره على معان ابتكرها ، وموضوعات استحدثها...لقد تماوج شعره بين المديح والرثاء وبين الغزل والوصف ثم أسهم بعد ذلك في الحكمة بنصيب).

ومن أهم موضوعات شعره:

---

[1] – الشكعة– مصطفى– رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ص ٥٤١

[2] - ابن مطير-شعره-ص١٢٤

[3] – الشكعة– مصطفى– رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ص ٥٤١

المدح:

لا تختلف معانيه فيه عن المعاني التي تناولها الشعراء العباسيين، إذ يردد في مدحه للمهدي المعاني القديمة، والمعاني الجديدة التي يرددها الشعراء في المدح، من الجود الغامر، وعلو الهمة، وحسن القيادة، وسعة الصدر، وكرم الاخلاق، مع العفة والجلال والمهابة، ولكنه ينحو في بعض مدائحه المبالغة في وصف الممدوح وهذه نجدها في أكثر المدائح العباسية.

ومن ذلك قوله في مدح المهدي[1]

لو يعبد الناس يامهدي أفضلهم ما كان في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثغال خردلةٍ في السودطراً إذا لابيضت السود

فالمبالغة في أن الجود صور من كفه وأن السواد بالقليل من نوره. يقول في مدح معن بن زائدة الشيباني:[2]

اتيتك إذ لم يبق غيرك جابر لِا واهب يعطي اللُّها والرغائبا

(اللها) جمع لهوة، وهي أفضل العطاء، (الرغائب) جمع رغيبة وهي الكثير من العطاء.فوصفه بالكرم أكثره والعطاء أفضله وهذه من المعاني المعروفة التي يرددها الشعراء. وقال يمدح المهدي:[3]

اليك أمير المؤمنين تعسفت بنا البيدُ هوجاء الُنجاء خبوب
ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت جبال بها مغبرة وسهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب

[1]– شعر الحسين بن مطير –ص ١٢٥
[2]– شعر الحسين بن مطير –ص ١٣٩
[3]– المصدر السابق نفسه– ص ١٤١

علا خلقه خلق الرجال وخلقه إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
اذا شاهد القوادَ سار أمامهم جرئ على ما يتقون وثوب
وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة بها يقهر الأعداء حين يغيب
يعف ويستحي إذا كان خالياً كما عف واستحيا بحيث رقيب

نجد سمة البداوة واضحة في مطلع الأبيات وفي الصفات التي وصف بها الممدوح من سماحة أخلاق وسعة صدر وحسن قيادة ومهابة وعفة ، ومن الألفاظ البدوية (تعسفت) من العسف، وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا علم، (البيد)، جمع بيداء، وهو الأرض المقفرة، (الهوجاء) وهي الناقة المسرعة (السهوب)، الأرض الواسعة البعيدة (خبوب) صيغة مبالغة من الخبب وهو ضرب من عدو الإبل، فالألفاظ والمعاني من بيئة الشاعر البدوية.

وقال في مدح معن بن زائدة:[1]

حديثُ ليلى حبذا إذلالها تسال عن حالي وما سؤالها
عن امرئ قد شاقه خيالها وهي شفاءُ النفس لو تنالُها
سل سيوفا محدثاً صقالُها صاب على أعدائه وبالها*

وعند معن ذي الندى أمثالها

فالبداية تقليدية في حديثه عن المحبوبة وطيفها ومكانتها في نفسه. ثم يصف ممدوحه بالشجاعة وكيف انه قضى على أعدائه بضربات سيفه، فأذاقهم المر ثم يصف معن.

وفي مدحه المهدي بالكرم والشجاعة وتشبيه عطاءه بالمطر يقول:[2]

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم

[1]– شعر الحسين بن مطير الاسدي – ص ١٨٤
[2]–المصدر السابق نفسه–ص١٨٦
* الصقال : الجلاء – الصاب : عصارة شجر مُر

فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البؤس خلّى عقابه على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلّى نواله على الأرض لم يصبح على الأرض معدم

فتشبيه العطاء بالمطر أمر معروف ومتبع عند شعراء العصر القديم وزاد عليه الشاعر المجاز المرسل (يمطر من كفه الدم)على اعتبار إن كفه أو يده سبباً في الضرب والطعن، وهذا دلالة على قوته وأنه أبلى بلاء حسنا في ساحة المعركة حتى كثرت الدماء المتدفقة من أعدائه بسبب ضرباته وطعناته القوية ، وعبر عنها بتمطر دلالة على كثرتها

الرثاء:

الرثاء عنده كالمدح في صفة التقليدية ويختلف مدحه ورثاؤه لمعن بن زائده، إذ تغلب عليه نغمة الصدق، وفي رثائه رنة الأسى كان يقول:[2]

الما بمعن ثم قولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعاً
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البُر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

وتعد هذه القصيدة من أشهر قصائد الرثاء وأقواها في الشعر العربي [1]. حتى أن ممدوحي الشاعر كانوا يغارون من هذه القصيدة. وان شهرة الحسين كشاعر جاءته من خلال هذه المرثية فالشاعر ببراعته وتمكنه استطاع أن يشارك السامع معه في حزنه، لأنه نظمها بإحساس صادق، وظهرت براعته في خطابه القبر الذي ضم جسد معن وتعجبه، كيف أن

[2]– شعر الحسين بن مطير – ص ١٧٢
[1]– الأغاني – ج ١٦ – ص ٢٣

ذلك اللحد المحدود المساحة يستطيع استيعاب كل تلك المعاني النبيلة التي اتصف بها معن من فضل خلق، وجود وسماحة. إلى أن يقول:[2]

فكنت لدار الجود يامعن عامرا ... فقد أصبحت قفرا من الجود بلقعا
فتي عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تمنى أناس شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا*
تعز أبا العباس عنه ولا يكن ... جزاؤك من معن بأن تتضعضعا*
أبى ذكر معن إن تموت فعاله ... وان كان قد لاقى حماماً ومصرعا
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أسدى أبوك وما سعى

فعبّر عن جوده بالدار العامرة وبعد موته أصبحت مجدبة قاحلة كما شبهه بالسيل الذي تبقى آثاره بعد وقوفه وكم تمنى الناس أن يكونوا مثله إلا أنهم فشلوا في أن يتصفوا بصفاته، وكنى عن ذلك بقوله: "أضحوا على الأذقان صرعى وظلعا" ويعلل بالصبر وعدم الحزن عليه بان لا يضعفوا، فذكره لا ينمحي لان أفعاله لا تموت وان مات هو فصفاته باقية وذكراه العطرة. واستخدم الاستعارة في تشخيصه لذكره برفضه موت فعاله.

وكل هذه المعاني ساقها الشاعر بعاطفة جياشة ملؤها الحزن وألفاظ تبوح بتلك المعاني يكللها الإحساس العميق بالأسى والفجيعة.

---

[2]– شعر الحسين بن مطير – ص ١٧٢

*البلقع : الأرض القفر التي لا شئ فيها

*ظلعا: جمع ظلع من ظالع إذا عرج–تضعضع: ضعف

الوصف:

واشتهر بوصف المطر وصفاً بديعاً حتى عده ابن المعتز من أحذق الشعراء به.[1] وكذلك له شعر قاله في وصف بعض مظاهر الطبيعة، كالسيل واندفاعه والبرق والرياح والوحوش، يقول:[2]

مستضحكٌ بلوامع مستعبرُ بمدامع لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يؤلف بينه وبكاء
ودنت له نكباؤه حتى إذا من طول ما لعبت به النكباء
ذاب السحابُ فهو بحر كلُه وعلى البحور من السحاب سجاء
ثقلت كُلاه فانهرت أصلابه وتبعجت من مائه الأحشاُء

وهي قصيدة أعجب بها أصحاب المعاني والمختارات واثنوا عليها لما تمتاز به من الدقة والتفصيل والأحكام، وقد وصفها ابن قتيبة بأنها مع إسراعه فيها كثيرة الوشي لطيفة المعاني.[3]

ولا يخفي علينا التصوير واختيار الألفاظ في هذا الوصف ودور الرياح في ذوبان السحاب وتشبيه السحاب بغطاء البحر ومرة أخرى في صورة الحيوان (وتبعجت من مائة الأحشاء) فماذا يا ترى لو بدّل لفظة تبعجت بلفظة ارق ؟ ولكن الشاعر أظنه على بدواته اختار الألفاظ التي يرى أنها أكثر تناسباً لوصفه وتؤدي معنى ما يريد بكل دقة ووضوح. ويقول:[4]

فعلى الشباب تحيةٌ من زائرٍ يغدو ويطرق ليله وصباحا
وبنازل لما أراد إقامة أهلا أراد مرؤة وصلاحا

---

[1]- ابن المعتز –الطبقات– ص١١٨
[2]- شعر الحسين بن مطير – ص ١٣٤– ١٣٥
[3]– الشعر والشعراء – ص ٩٢
[4]– شعر الحسين بن مطير الاسدي – ص ١٤٩

فدع الشباب فقد مضى لسبيله وانظر بعينك بارقاً لماحا
مازال يدفعه الصّبا دفع الطلي من لعلع حتى أضاء ولاحا
جون الرباب عصى الرياح على الرُبا متبركا من فوقها الحاحا

برع الشاعر في تبيان عناصر البادية وإبرازها في صور جلية أخّاذة فرجع إلى الشعر القديم واستقى منه أوصافه وصوره ومعانيه. فالبداية تقليدية وحسن التخلص باستخدامه أسلوب الإنشاء الطلبي الأمر(دع) بمعنى اترك، وهو أسلوب أمر، ويواصل في الطلب وانظر فيصف لنا ذلك البرق وكيف أن السحاب يدفعه كما يدفعه الإنسان وهذا تشبيه بليغ آتى به الشاعر في صورة المفعول المطلق ليحدد بدقة حركة البرق ويوضح اتجاهه فيذكر من الأماكن لعلع.

ويصف السحاب بالجون (الأسود) وحركة الرياح على المرتفعات والسحاب ثابت لا يتحرك. ويقول في وصف فرس:[1]

مبلغ التقريب يعبوب إذا بادر الجونة واحمر الأفق

وهنا نجده يصف سرعة ذلك الفرس مستخدماً من ألفاظه البدوية الدالة على السرعة (تقريب – يعبوب) ومثل هذه الألفاظ نجدها عند شعراء العصر الجاهلي فقد وصف امرؤ القيس فرسه في سرعتة مستخدماً التصوير من البيئة قال:[2]

له ايطلا ظبي وساقا نعامه وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

فذكر التقريب وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً وهذا دلالة على سرعتة – والتنقل هو ولد الثعلب. فكما تأثر امرؤ القيس ببيئة، كذلك نجد ابن مطير يحافظ على تلك الألفاظ القديمة معتزاً ببداوته.

---

[1]– شعر الحسين بن مطير الاسدي ل–ص ١٧٥

[2]– امرؤ القيس– الديوان– ص ٢٦

*الطلي: الشخص لعلع : موضع بين البصرة والكوفة يدفعه : يسوقه السجاد : الغطاء*الكلي وكلية وهي أفل السحابة متبركاً :مقيماً لا يتحرك

الغزل:

والغزل عنده هو ذلك الغزل البدوي فطري العاطفة والذي كان يعجب كثيراً من أهل الأدب في بغداد. وله قصيدة جيمية يصفها ابن المعتز بأنها (شعر كأنه الديباج بل نظم الدر في حسن وصف وإحكام)[١] يقول فيها:[٢]

كأننا يا سليمى لم نلم بكم وتحتنا علسيات ملاجيج
ولم نكلمك والحساد قد حضروا وفي الكلام عن الحاجات تخليجُ
ولم نقل يوم سارت عيسكم عنقا والدوسرى بجذب الساج مجروج*

إلى أن يقول:

دار لناعمة بيضاء حلتها عصب يمان وبُرد فيه تدبيج

ففي هذه الأبيات كان الشاعر يوضح مدى تمكنه من نهج القدامى وأسلوبهم وكذلك محافظتة على هذا الطريق في ظل الحضارة التي تحيط به من كل جانب.فنجده يعبّر عن حبه وغزله بأصعب الألفاظ، فظهرت فيها روحه البدوية ودعمها بالألفاظ والمعاني والأسلوب البدوي.سلك الحسين في غزله مسلك البدويين الذين طهّرت حياة البادية نفوسهم فعفّوا في حبهم وفي التعبير عنه. يقول في قصيدة له في الحب:[١٣]

أحبك يا سلمى على غير ريبة ولا بأس في حب تعف سرائره
وكنت إذا استودعت سراً طويته بحفظ إذا ما ضيع السر ناشره
واني لأرعى بالمغيبة صاحبي حياًء كما أرعاه حين أحاضره

---

[١]- ابن المعتز –الطبقات– ص ١١٦

[٢]- شعر الحسين بن مطير – ص ١٤٥

[٣]– المرجع السابق نفسه – ص ١٦٢

*العلسيات: المنسوبة إلى بني علس– ملاجيج: سريعات–تخليج: منع–العيس: النوق– العنق: ضرب من سير الإبل–الدوسري: النوق العظيمة–الساج: الخشبة الصلبة–مجروج: متحرك ومضطرب.

ويا عاذلي لولا نفاسةُ حبها عليك لما باليت انك خابرهِ
كأن سليمى حين قامت فأشرقت بوجه أسيل زينته غدائره

ويقول معبراً عن إحساسه بالشوق والحنين:[1]

احن ويثنيني الهوى نحو يثرب ويزداد شوقي كل ممسى وشارق
كذاك الهوى يزري بمن كان عاشقاً ونول الهوى يحنو على كل عاشق

ويقول:[2]

من كل بيضاء مخماص لها بشرٌ كأنه بذكي المسك مغسولُ
فالخد من ذهب والثغر من بردٍ مفلج واضح الأنياب مصقولُ

فكل هذه الصفات نجدها عند الشعراء القدامي يصفون بها محبوباتهم بياض اللون والرائحة الطيبة والخد الناعم والأسنان المفلجة والأنياب المصقولة.

وذكر الشاعر عدة أسماء في غزله منها سلمى وأسماء وذلفاء ولا ندري أهي رمز لواحدة أم غير ذلك. يقول:[3]

أيا ظبية الوعساء أنت شبيهة بذلفاء إلا أن ذلفاء أجدل
فعيناك عيناها وجيدك جيدها وشكلك إلا أنها لا تعطل

فاخذ شاعرنا هنا التشبيه من البيئة فشبه محبوبته ذلفاء بالظبية ويخاطبها مستخدماً الاستعارة المكنية تشخيصاً لتلك الظبية ويعقد مقارنة بينها وبين محبوبته ويصل إلى نتيجة هو يعلمها ان محبوبته أفضل لا تصافها بالجمال الطبيعي خالي من الزينة التي يراها شاعرنا عند الفتيات من قلائد وخلاخيل وغيرها ولا ننسى أن هذه الظواهر أكثر ما تكون في منطقة بها

[1]- شعر الحسين بن مطير – ص ١٧٦
[2]- السابق – ص١٧٨
[3]- السابق – ص ١٧٩

من ضروب الحضارة وفنونها وثقافتها. والفتاة البدوية زينتها المعنوية الحياء والخلق الحسن وزينتها المادية الكحل والخضاب.

الحكمة:

والحكمة في شعر ابن مطير كأنما هي تفكر في أحداث الدهر وتغير الأحوال، وتبدلها، مع استخلاص العظة منها، وبها من النصح والإرشاد، والدعوة إلى الخير والمعروف يقول:[1]

فلا تك مغروراً بمسحة صاحب ... ومن الود لا تدري علام مصيُرها
وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ... ولكنه حيم الرجال وحيرها[3]
وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها ... فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
اذا يسر الله الأمور تيسرت ... ولانت قواها واستقاد عسيرها
وكم قد رأينا من تكدر عيشه ... وحال صفا بعد اكدرار غديرها
وكم طامع في حاجة لا ينالها ... وكم بائس منها أتاه بشيرها
وكم خائف صار المخوف ومقتر ... تمول والاحداث يحلو مريرها*
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فمالك نفس بعدها تستعيرها
ونفسك فاحفظها ولا تفش للورى ... ومن السر ما يطوي عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سر أهله ... إذا عقد الاسرار ضاع كثيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه ... على ذاك منه صدق نفس وخيرها
ولا تقرب الأمر الحرام فإنه ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها
ولا تهلك الدنيا عن الحق واعتمل ... لآخرة لابد ان ستصيرها
ومن يتبع ما يعجب النفس لا يزل ... مطيعاً لها في فعل شئ يضيرها

---

[1]– شعر الحسين بن مطير – ص ١٦٧

* الحيم والحير : الأصل والطبيعة

* المخوف: المرهوب–تمول : اغتنى المسحة : الشئ

فحكمته مستخلصة من تجاربه في الحياة فعبر لنا عن تلك المعاني بصدق وعاطفة بها بعض الحزن نتيجة لما نهى عنه. ونجده استخدم أسلوب الذكر أو التكرار في بعض الأبيات فنجد ادوات النفي والنهي ما ولا وكذلك كم الخبرية التي تفيد الكثرة ليؤكد لنا كثرة هذه الصفات ومن الذكر أيضاً كلمة نفسك وهي أيضاً لتقوية المعنى وتأكيده.

واستخدم من علم البديع الطباق بين الفقر والغنى ، الصفا والكدر، يسير وعسير، حلاوتها ومريرها. كما أنه استخدم البيان في لانت قواها واستقاد عسيرها (استعارة مكنية).

وكذلك في قوله: فما يحفظ المكتوم عن سر أهله إذا عقد الأسرار ضاع كثيرها

وقوله أيضا: (وحال صفا بعد اكدرار غديرها) فجعل الحال كأنه غدير ماء يصفو ويتعكر،

مذهبه وطبقته:

يجمع القدماء على أن الحسين بن مطير الأسدي كان يشبه القدماء والأعراب لا في احتذائه على طريقتهم في صناعة الشعر، بل أيضاً في ملبسه وحياته، ولذلك يقولون إن زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. ويدل ما بقى من شعره على ذلك دلالة قوية، فهو ينحو نحو القدماء في اختيار الأوزان الطويلة والألفاظ القوية والأسلوب الجزل. وهو من ناحية أخرى يحتفظ في مدائحه بالتقاليد الموروثة وخاصة وصف الأطلال، ووصف الظعائن المفارقة ووصف الرحلة والناقة والصحراء. أما في الغزل يقترب اقترابا شديدا من الشعراء العذرين.[1] أمثال جميل بثينة وقيس بن الملوح.

[1]- شعر الحسين بن مطير الاسدي – ص ١٢٨

أما طبقته فلم يحددها القدماء ولا قرنوه بأحد من الشعراء غير أن بعض العلماء والأدباء أشادوا به. فيصفه ابن المعتز بأنه من المكثرين المجيدين المعروفين،[١] ويذهب أبو الفرج الأصفهاني إلى انه شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح،[٢] ويصفه ياقوت الحموي بأنه من فحول المحدثين،[٣] أما عبد الله بن طاهر فقد فضله على الشعراء العباسيين جميعا،[٤] لقوله في مرثيته العينية التي سبق ذكرها ص٩٩.

وأرجو أن أكون قد كشفت بعض الشئ عن شخصية الحسين مطير والقليل عن حياته وموضوعات شعره،التي عكست بيئته وعبرت عنها خير تعبير.

[١]- ابن المعتز –الطبقات– ص ١١٩

[٢]- الأغاني – ج ١٤ – ص ١١٠

[٣]- معجم الادباء – ياقوت الحموي – ج ١٠ – ص ١٦٧

[٤]- الاغاني – ج١٤ – ص ١١٣

المبحث الثالث

إبراهيم بن هرمـة

هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة، وكنيته أبو اسحاق، من فهر من قريش ولد عام ٧٠هـ وهو من أبناء المدينة، وقيل أن أهله ألحقوا بقريش، فسموا بالخُلج.[١]

وكان ابن هرمة لا يهتم أن يقترن اسمه بقريش التي كانت مطمحاً للانتساب إليها من كل عربي وعجمي.[٢]

اتصف ابن هرمة بالقصر والدمامة، واتصل بعبد الله بن الحسن بالمدينة، وكان ينزل عليه وعلى ابنه محمد النفس الزكية، وكان يصاحبهما إلى البادية إذا خرجا إليها. وعاصر الشاعر ابن ميادة وكانا يلتقيان ويتبادلان الحديث والشعر، فكلاهما من شعراء البادية وإن وفدوا على الخلفاء في العراق.

وظل على صلة بعبد الله بن الحسين وابنه محمد وهو من المتشيعين لآل البيت، يقول في النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي:[٣]

ومهمـــــا ألام علـــــى حبـــــه فـــإني أحـــب بنـــي فاطمـــة

بنـــي بنـــت مـــن جـــاء بالمكرمـــات والـــــدين والســـــنة القائمـــــة

---

[١] – أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٦٨.

[٢] – المرجع السابق، ص٣٦٧.

[٣] – شعر ابن هرمة، ص٢١٤.

وصار يتجول بين عشائر العرب في نواحي مكة والمدينة ببوادي الحجاز، وقصد الرؤساء مادحاً واتصل بأبي جعفر المنصور وصار من مادحيه ومقربيه.

وكان ابن هرمة من أبرع الشعراء المخضرمين بين الأموية والعباسية، سمي بساقة الشعراء أو خاتمة شعراء العصر الأموي وخاتمة شعراء العصر العباسي، فهو آخر التقليديين ومن عُوفوا بالسير على نهج القدماء وطرائقهم الفنية ولم يتأثر بأسلوب المحدثين.

ويعد الأصمعي ابن هرمة خاتم الشعراء فيقول: (ختم الشعر بابن هرمة).[1]

لقد عاصر ابن هرمة أواخر حياة جرير والفرزدق وتأثر بهجائهما كما تأثر بفحولتها في الصوغ والقول والالتزام بالأصول الشعرية، ومن ثم فإنه آخر الشعراء الذين يحتج

وهو معاصر لابن ميادة وإلى العباس الأعمى، وكانت وفاته عام ١٧٦هـ.[3] على أرجح الأقوال. أهم أغراض شعره:

[1]- ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص٢٠.

[2]- البغدادي، عبد القادر بن عمرو- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب-تحقيق وشرح عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي القاهرة-ط٤-١٩٩٧-ج١- ص٤٢٥.

[3]-ابن هرمة-شعره-ص٢١

المـدح:

لم يترك ابن هرمة غرضاً من أغراض الشعر التقليدية إلا وطرقه، والمدح أهم موضوع أدار شعره عليه فممدوحوه كثيرون وقد أنفق عمره الطويل في إجتداد معروفهم إذ كان له من ظروفه الحرجة حافز دائم على أن يلتمس لديهم ما ينشده من خطوة ومن رزق.[١]

ابن هرمة يستهل مدائحه بالوقوف على الأطلال، وهو الشكل التقليدي لقصيدة المديح الذي ظل مستمراً عند شعراء البادية في العصر العباسي، فهو يستهل قصيدته في مدح السرى ابن عبد الله بمقدمة طللية كعادة البدويين؛ يقول:[٢]

أفـــي طلـــل قفـــر تحمـــل أهلـــه وقفـــت ومـــاء العـــين ينهـــل هاملـــه

تســـائل عـــن ســـلمى ســـفاها وقـــد نـــأت بســـلمى نـــوى شـــحط فكيـــف تســـائله

وترجـــو ولـــم ينطـــق ولـــيس بنـــاطق جوابـــا محيـــل قـــد تحمـــل آهلـــه

ونـــؤي كخـــط النـــون مـــا إن تبينـــه ذَتْـــه ذيـــول مـــن شـــمال تذائلـــه

فقـــل للســـرّى الواصـــل البـــر ذي النـــدى مـــحاً إذا مـــا بـُـــت صُـــدِّق قائلـــه

جـــواد علـــى العـــلات يهتـــز للنـــدى كمـــا اهتـــز عضْـــبُ أخلصـــته صـــياقله

فهو يسأل الطلل الذي لا يجيبه، ويصف آثار الديار، ويشبه الحفير الذي حول الخيمة بالهلال، ويذكر أثر الرياح عليه، ثم يصف بالكرم في حالة الشدة وشبهه بالسيف حسن الصنع.

---

[١]- شعر ابن هرمة، ص ٤٥

[٢]- السابق نفسه– ص ٨٥.

*النوى: الرحلة، الشحط: البعيدة، المحيل: التغير، النؤى: الحفير حول الخيمة، عفا: درس، الذبول: جمع ذبل وهو ما أنسجت من الريح على الأرض، تذائله: تمسه بسرعة، العلات: الشدائد، العضب: السيف.

وقال يمدح أبا جعفر المنصور:[1]

عفـــا النعـــف مـــن أســـماء نعـــف رواوة فـــريم فهضـــب المنتضـــي فالســـلائل

ســـرى ثوبـــه عنـــك الصـــبا المتخاُيـــل وآذن بـــــالبين الخلـــــيط المزايـــــل

إليـــــك أميـــــر المـــــؤمنين تجـــــاوزت بنابيـــــد أجـــــواز االفـــــلاة الرواحـــــل

بـــزرن أمـــرءاً لا يمحـــض القـــوم ســـره ولا ينتحـــــي الأدنـــــين فيمـــــا يحـــــاول

إذا مـــا أبـــي شـــيئاً مضـــى الـــذي أبـــى وإن قـــــال إنـــــي فاعـــــل فهـــــو فاعـــــل

كـــريم لـــه وجهـــان وجـــه لـــدي الرضـــا طليـــق ووجـــه فـــي الكريهـــة باســـل*

فسمات البداوة تتضح في بدايته وذكر الأماكن وذكر الصحراء بأسمائها البيد والفلاة حتى وصلوا إلى الممدوح فيضفي عليه الصفات المعروفة من كرم وبأس وشدة مستخدماً الألفاظ التي تتناسب معانيه.

وقضى ابن هرمة معظم حياته في بوادي الحجاز متنقلاً فيها ويذهب أحياناً إلى حواضره ليمدح هذا أو ذاك ولكن يذهب بكل أدوات البادية كما رأينا.

---

[1]- شعر ابن هرمة، ص ١٦٦.

*تجاوزت: قطعت البيد وهي الصحراء، يمحض: لا يظهرهم عليه، انتجى: شاور، الطليق: الضاحك، الباسل: الصلب القوي والمر العابس

الفخـر:

افتخر بكرمه ومن ذلك قوله:[1]

كُـــــنِ ضـــــيفي إذا تـــــأوبني أوســـــعُ أبياتتـــــا وأدفؤهـــــا

لســـــت بـــــذي ثلـــــة مُونفـــــة آقـــــط ألبانهـــــا وأســـــلؤها

خيـــــر الرجـــــال المرهفـــــون كمـــــا خيـــــر تـــــلاع الـــــبلاد أوطؤهـــــا

يصف نفسه بالكرم وأنه لا يتاجر بأغنامه ولا يضيع ألبانها ليستخرج منها الأقط والزبد ليبيعه.

ويقول أيضاً في المعنى ذاته:[2]

كيـف احتيـالي لبسـط الضـيف مـن حَصْـر عنـد الطعـام فقـد ضـاقت بـه حِيلـي

أخـــاف تـــرداد قـــولي (كُـــل) فأقطعـــه والســـكت ينزلـــه منـــى علـــى البُخـــل

فالمعنى رائع ينم عن مدى اهتمام شاعرنا بضيفه وحفاوته ويبحث عن حيلة أو معنى غير قوله (كل) ولا يريد أن يسكت عنه حتى لا يوصف بالبخل.

---

[1]- شعر ابن هرمة، ص ٥٨.

[2]- السابق نفسه ص١٨٢.

*الثلة: جماعة الغنم، موانعة: محافظ عليها، أقط الطعام: عمله، ملأ السمن طنجه وأذاب زبده، امرهقون: جمع مرهق وهو الذي يغشاه السائلون والأضياف، التلاع: جمع تلعة وهي مسيل الماء إلى الوادي.

الغزل:

أما غزله فمنه ما نظمه تقليدياً فكان معيناً يستمد منه علماء اللغة والنحو قواعدهم، أو ليثبت به بعض ظواهر اللهجة القرشية فقد قيل أن قريش لا تهمز فقال قصيدته الهمزية، ومنها ما عبّر به عن مشاعره وحياته الماجنة .يقول متغزلاً :[1]

هـل مـا مضـى منـك يـا أسـماء مـردود أم هـل نقضـت مـع الوصـل المواعيـدُ

أم هـل ليالي ذات البـين عايـدةٌ أيـام يجمعنـا خلـص فبلـدودُ

أقصـرت عـن جهلـي الأدنـى وجملنـي زعُ مـن الشـيب بـالفودين منقـودُ

إن الغـواني لا تنفـك غانيـة مـنهن يعتـادني مـن حبهـا عيـدُ

الوصف:

وقال يصف فتاة:[2]

ثـم قامـت مـن حولهـا أترابهـا وعثـة الأرداف غرتـي الملتـزم

وقال يصف مهيباً :[3]

لا يرفعـون إليـه الطـرف خشـيته لاخـوف بـأس ولكـن خـوف إجـلال

---

[1]- شعر ابن هرمة، ص١٠٠.

[2]- السابق نفسه- ص ١٩٢.

[3]- السابق نفسه- ص ١٨٢.

* خلص: موضع بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل- موضع من نواحي المدينة، الفودان: جانب الرأس – منقود – معاب، الغواني: جمع غانية وهي الفتاة الجميلة، العيد: الشوق، وعثة الأرداف: ممتلئة العجيزة، غرني الملتزم: رقيقة الخصر.

وقال يضف ناقة:[1]

تـــرى ظلهـــا عنـــد الـــرواح كأنـــه لـــــى دفّهـــا رأل يخـــب جنيـــب

والمعنى أن ظلها من سرعتها يضطرب اضطراب الرأل (ولد النعامة) وذلك عند الرواح. يقول إنها وقت كلال الإبل نشيطة منبسطة.

الرثاء:

يقول في رثاء قومه:[2]

مـــا أظـــنُّ الزمـــان يـــا أم عمـــرو تاركـــاً إن هلكـــت مـــن يبكينـــي

كـــم أخ صـــالح وعـــم وخـــال وابـــن عـــم كالصـــارم المســـنون

قـــد جلتـــه عنـــا المنايـــا فأمســـى أعظمـــا تحـــت ملحـــدات وطـــين

رهـــن رمـــس ببهـــوة أو حزيـــر يـــالقوم للميـــت المـــدفون

فهو يبكي قومه الذين رحلوا عنه حتى أنه توقع ألا يرثيه أحد بعد موته فلم يبق منهم أحد وذكر من الأماكن التي فيها قبورهم – بهوة وحزير.

وقال يرثي إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس:[3]

---

[1]- شعر ابن هرمة، ص ٦٧.

[2]- المرجع السابق، ص ٢١٨.

[3]- المرجع السابق ص٢٢١.

* الدف: الجنب – الرأل: ولد النعامة – الخبب: ضرب من سير الإبل، الجنيب: النشيط.

*الرمس: القبر، بهوة ماء باليمامة – بهوة الوادي وسطه – الحزير: المكان الغليظ. عّيت: أفقرت وأيأست.

قد كنت أحسبني جلداً فضعضني قبر بحران فيه عصمة الدين

فيه الإمام وخير الناس كلهم بين الصفائح والأحجار والطين

فيه الإمام الذي عمت مصيبته وعيلت كل ذي مال ومسكين

ونجده كلما رثا أحدهم يذكر القبر والطين ويظهر عاطفة الحزن والتفجع على فراقه وكذلك يستخدم أسلوب الذكر لتقوية المعنى وتأكيده كان يقول (فيه الإمام .. فيه الإمام) دلالة واضحة على ألمه وحسرته كما أنه يثير عاطفة الحزن فيمن حوله ببكائه على المرثي.

الهجاء:

عرف ابن هرمة بالهجاء المؤلم لخصومه، قال يهجو جماعة نزارية جفت قومها وحالفت اليمانيين:[1]

ما عادت لذي يمن رؤوساً ولا ضرّت بفرقتها نزارا

كعنز السوء تنطح من فلاها ترأم من يُحد لها الشفارا

وقال يعرض بعبد العزيز بن المطلب لرفضه وصله، وبآل عامر الذين أجازوه استهانة بكرامة آبائهم:[2]

خطبت إلى كعب فردوك صاغراً فحولت من كعب إلى جذْم عامِر

وفي عامر عز قديم وإنما أجازك فيهم هزل أهل المقابر

---

[1] شعر ابن هرمة، ص١١٨. الأغاني، ج٤، ص٣٩٤. فلاها: بحث في شعرها وحكمها.

[2] المرجع السابق ص١٢٨.

* عيّلت: أفقرت وأيأست

وقد عاب بعضهم شعره فهجاه بقوله:[1]

إياك لا الزمن لحبيك من لُجمي ... كلا يتَّكل قراصا من اللُجمِ

يدق لحبيك أو تتقاد متبعا ... مشى قيّد ذي القَردان والحَطمِ

أني إذا ما أمرؤ خفت نعامته ... إلىّ واستحصرت منه قوي الوذمِ

عقدت في ملتقى أوداج لبته ... طوق الحمامة لا يبلى على القِدمِ

فالروح والمعاني البدوية واضحة جلية في الألفاظ والمعاني والصور فهو يخرج الشعر كما جادت به قريحته التي عدها أهل عصره جافية عن مألوفهم في الشعر آنذاك.

الحكمة:

أما حكمه فخلاصة تجاربه ودليل فكره في حياته. ومن ذلك:[2]

إن الذي شق فمي ضامن ... لي الرزق حتى يتوفاني

وكذلك قوله:[3]

إذا أنت لم تأخذ من اليأس عصمة ... تشد بها في راحتيك الأصابع

---

[1] شعر ابن هرمة، ص٢١٠.

[2] المرجع السابق ص٢٢٥.

[3] شعر ابن هرمة، ص١٤٠.

*طرق الماء: الماء المجتمع الكدر – الرتق: الكدر – المشارع: مورد الماء.

*النكل: اللجام، القردان: دويبة صغيرة – الحلم: الصغير أو ضخم من قردان، الوذم: سيور تقُد مستطيلة – استحصدت قواه: أحكم فتلها وهي كناية عن الغضب – خفت نعامته: كناية عن جهله وإساءته

شـــربت بطـــرق المـــاء حيـــث لقيتـــه علـــى رَنَـــقٍ واســـتعبدتك المطـــامع

وأصـــرف عـــن بعـــض الميـــاه مطيتـــي إذا أعجبـــت بعـــض الرجـــال المشـــارع

وفـــي اليـــأس عـــن بعـــض المطـــامع راحـــة ويـــا رب خيـــر أدركتـــه المطـــامع

فحكمته مستقاة من تجاربه وأثر البيئة واضح في استخدامه للصور البيانية من كناية واستعارة (استعبدتك المطامع) وقوله:[1]

قـــد يـــدرك الشـــرف الفتـــى ورداؤه خلـــق وجيـــب قميصـــه مرقـــوع

وينـــال حاجتـــه التـــي يســـمو لهـــا ويُطَـــلُّ وِتـــرُ المـــرء وهـــو وضـــيع

الكناية في قوله (وجيب قميصه مرقوع).

ومن المعاني القديمة كلمة (وُطلٌ) ونجدها مكررة عند شعراء العصر الجاهلي الذي كثرت فيه الحروب والغارات وكانت من أهم مميزاته . يقول السموأل بن عادياء:[2]

مـــا مـــات منّـــا ســـيد حتـــف أنفـــه ولا طُـــلّ منـــا حيـــث كـــان قتيـــل

فالأخذ بالثأر أمر ليس فيه جدال حتى ولو كان الشخص وضيع المكانة، وهو من الصفات التي يفتخرون بها.

[1]- شعر ابن هرمة، ص١٤٣.

[2]- ابن عبد ربه–العقد الفريد–ج١–ص٩٣

* طل: أهدر، الوِتر – الدم والثأر.

ويقول في العتاب:[1]

فـــإني ومـــدْحيك غيـــر المصـــيب كالكلـــب ينـــبح ضـــوء القمـــرْ

مـــدحتك أرجـــو لـــديك الثـــواب فكنـــت كعاصـــر جنـــب الحجـــر

فالشاعر نجده مدح معاوية بن عبد الله بن جعفر فلم يعطه شيئاً لضيق يده. فعاتبه مستخدماً من الأمثال ما يدل على خيبة الأمل ومن الكناية ما يدل على عدم اهتمامه به.

وهكذا نجد أسلوبه يقترب كثيراً من "أساليب الشعراء الجاهليين والإسلاميين بقوته ومتانته ونصاعته، مما يجعل الأصمعي يصفة بأنه (ثبت فصيح)[2]، ومما جعل الخطيب البغدادي يقول فيه:[3](إنه شاعر مفلق فصيح مجيد حسن القول). أما عبد القادر البغدادي فيصفه بأنه شاعر مطبوع.[4]

---

[1]- شعر ابن هرمة، ص١١٤.

[2]- الأصمعي-فحولة الشعراء، ص٣٢.

[3]- البغدادي-تاريخ بغداد، ج٦، ص١٢٨.

[4]- البغدادي-خزانة الأدب، ج١، ص٢٠٤.

* كالكلب ينبح ضوء القمر (مثل يضرب على خيبة الأمل).

المبحث الرابع

على بن الجهم

هو الحسن على بن الجهم القرشي، ينتهي نسبه إلى لؤى بن غالب – توطن قومه البحرين وخرجوا إلى خراسان بعد فتحها، وقد خرج أبوه لجهم إلى بغداد وكان وجيهاً ومقدماً، فهو تولى المناصب الرفيعة في خلافة المأمون والواثق. وكان لعلى أخ هو (محمد) عالم وأديب، تولى للمأمون عدداً من الولايات، وتولى دمشق للمعتصم، ولأسرته عموماً يد موصولة بالسلطان.[1] وقد نقل ابن العربي في كتابه محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار أن الشاعر كان بدوياً جافياً، مدح الخليفة الرشيد بما يدل على تلك البدوية في قوله:[2]

أنـــت كالكلـــب فـــي حفاظـــك للـــود وكـــالتيس فـــي قـــراع الخطـــوب

أنـــت كالـــدلو لا عـــدمناك دلـــوا مـــن كبـــار الـــدّلا كثيـــر الـــذّنُوب

ثم ما لبث أن انتظم في حياة الحضارة فصدر عن مثل هذه القصيدة في مدح المتوكل:[3]

عيـــون المهـــا بـــين الرصـــافة والجســـر جلـــبن الهـــوى مـــن حيـــث أدرى ولا أدري

ولما بلغ السن التي يذهب بها الصغار إلى الكتاب بدأ يذهب كل يوم من داره في شارع دُجيل ببغداد إلى كتّاب في الحي يجمع بين صغار الصبيات والبنات وكان على حسن الوجه ذكي الفؤاد كثير النشاط، ظهرت عليه مخايل النجابة منذ طفولته، فكان يسعر البيت

---

[1]– الداية، د. محمد رضولن أعلام الأدب العباسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، ص٤٤.

[2]– على بن الجهم، الديوان –دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٤٩م، ط٢، ١٩٩٦م. ص٧٨

*من معاني الدنوب الدلو والخط والنصيب.

[3]– على بن الجهم، ديوانه، ص١٣٥.

وثباً وقفزاً وضجيجاً حتى أقلق والده بضوضائه وجلبته فسأل أبوه معلم الكتاب يوماً أن يحبسه في الكتاب. فلما رأى على رفاقه ينصرفون إلى دورهم وهو محبوس ضاق صدره فأخذ لوحة وكتب إلى أمه:[1]

يـــــا أمتـــــا أفـــــديك مـــــن أم أشـــكو إليـــك فظاظـــة الجهـــم

قـــــد سُـــــرح الصـــــبيان كلهـــــم وبقيـــت محصـــورا بـــلا جُـــرم

وبعث باللوح إليها مع رفيق له من الصبيان. قال على "وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي، فأرسلت إلى أبي والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرة أطلقه".

ومن حوادثه في الكتاب أن أخذ لوحه يوماً وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه:[2]

مـــاذا تقـــولين فـــيمن شـــفه ســـهر مـــن جهـــد حبـــك حتـــى صـــار حيرانـــا

وهكذا بدأ يقول الشعر وهو صغير جداً ولعله كان دون عشر سنوات من عمره. والمعروف عنه أنه نشأ في أسرة جمعت بين العلم والأدب والشرف والوجاهة والثراء.

وقربه المتوكل واتخذه جليساً ونديماً وجعله من خاصة ندمائه. ويطلعه على أموره الخاصة بينه وبين حظيانه وجواريه. وكان ينادم المتوكل مع على بن الجهم ويسمر عنده في الليل جماعة من الشعراء فضلاً عن المغنين والقيان، والمضحكين وكان ابن الجهم يتعالى عليهم ويراهم دونه، فاتفقوا عليه وكادوا له وسعوا به لدى المتوكل فتغير قلب المتوكل عليه وأمره بأن يلزم داره ففعل وانقطع ، ولكن الندماء لم يقفوا عند هذا الحد فزعموا أنه كثير الطعن

[1]- على بن جهم،الديوان ص٨.

[2]- السابق نفسه- ص٨.

على الخليفة والإزراء على أخلاقه فغضب المتوكل وأمر بحبسه فكان أول ما قال في الحبس قصيدة كتب بها إلى أخوه ليوصلها إلى الخليفة أولها:[1]

توكلنـــــا علـــــى رب الســـــماء وســـــلمنا لأســـــباب القضـــــاء

صفته وأخلاقه:

كان على بن الجهم وسيم الطلعة حسن الجسم فارساً شجاعاً أشار إلى وضاءة وجهه أبو تمام الطائي بقوله:[2]

بـــأي نجـــوم وجهـــك يستضـــاء أبـــا حســـن وشـــيمتك الإبـــاء

ويشير البحتري إلى سحر جماله بقوله:[3]

يـــا علـــى بـــل يـــا أبـــا الحســـن المـــا لـــــك رق الظريفـــــة الحســـــناء

على نفسه يشير إلى وسامة وجهه وحسن جسمه بقصيدته التي قالها لما صُلب مجرداً من ثيابه بأمر المتوكل:[4]

نصـــبوا بحمـــد الله مـــلء عيـــونهم حســـناً ومـــلء صـــدورهم تبجـــيلا

مـــا عابـــه ، بـُـــرّ عنـــه لباســـه فالســـيف أهـــول مـــا يـــرى مســـلولا

[1]- على بن جهم،الديوان- ص١٤.

[2]- السابق نفسه- ص٢٤.

[3]- السابق نفسه الصفحة نفسها

[4]- السابق نفسه الصفحة نفسها

مذهبه في الدين والسياسة:

كان يفخر بالتدين ويمدح به ويرى كل مصيبه دون مصيبةالإنسان في دينه. قال:[1]

إن المصـــــائب مـــــا تعـــــدت دينـــــه ذ َعـــــم وإن صَـــــُعبت عليـــــه قلـــــيلا
هـــــل تملكـــــون لدينـــــه ويقينـــــة وجنانـــــــــه وبيانـــــــــه تبـــــــديلا

أما مذهبه فمذهب أهل الحديث الذين يقفون عند ظاهر الكتاب والسنة يتشدد في تسننه، وكان إمام أهل السنة في عصره الإمام أحمد بن حنبل فمال إليه على بن الجهم وكان يتردد عليه ويسأله ويروى عنه، حتى ُعد من الطبقة الأولى من طبقات الحنابلة ممن روى عن الإمام أحمد.

مذهبه في السياسة:

كان على بن جهم مخلصاً للخلافة العباسية فخوراً بالتشبع لها، يعتقد أن بني العباس أولى الناس بسياسة الأمة وتولي أمورها، لا تصلح إلا عليهم ولا تنقاد إلا إليهم، وتراه يفخر بخراسنيته سياسة كما يفخر بقريشيته نسباً وذلك أن خراسان كانت موطناً لآبائه حيناً من الدهر وكان اعتماد بني العباس عليهم. يقول للمتوكل:[2]

مـــــذهبي واضـــــح وأصـــــلي خـــــرا ســـــان وعـــــزي بعـــــزكم موصـــــول

وفاتـه:

كانت في سنة ٢٤٩هـ[3]. وهو متوجهاً إلى الغزو، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل.

---

[1]- على بن جهم،الديوان ص٢٧.

[2]- السابق نفسه، ص٦

[3]- الأصفهاني – الأغاني–ج١٠–ص٢٤٧

أغراض شعره:

وأبواب شعره يمكن إرجاعها إلى المديح والرثاء والوصف والغزل والفخر والحكمة والهجاء. وهناك باب جديد لعله أول من نظم فيه هو نظم حوادث التاريخ.

أولاً المدح:

شعره في المدح جزل رصين فيه إحكام ودقة وإشادة بما خص به الممدوح من المزايا والفضائل. ومن قوله في مدح المتوكل:[1]

وســـطح علـــى شـــاهق مشـــرف عليـــــه النخيـــــل بأثمارهـــــا
إذا الـــريح هبـــت لهـــا أســـمعت غنـــــاء القيـــــان بأوتارهـــــا
وفـــوارة ثأرهـــا فـــي الســـماء فليســـت تقصـــر عـــن ثارهـــا
تـــُرد علـــى المـــزن مـــا أنزلـــت علـــى الأرض مـــن صـــوب مـــدرارها

إلى أن يقول:

فـــــلا زالـــــت الأرض معمـــــورة بعمـــرك يـــا خيـــر عمارهـــا

فيصف كرمه وعمرانه الأرض فيذكر الماء المندفع والسحاب والرياح والنخيل.

وقال يمدح المعتصم:[2]

متـــى عطلـــت ربـــاك مـــن الخيـــال ســـقيت معاهـــداً صـــوب الغمـــام

١-على بن جهم،الديوان -ص١٤٨.

[2]- السابق نفسه- ص٢٠٣

* الفوارة: منبع الماء المندفع.

ثم قال:[1]

قفـــوا حيـــوا الـــديار فـــإن حقـــاً علينـــا أن نحـــي بالســـلام

وقال:[2]

خليلـــي الهـــوى خلـــق كـــريم تُقصّـــر عنـــه أخـــلاق اللئـــام
وفـــاء إن نـــأت بالجـــار دار ورعيـــا للمـــودة والـــذمام

ويقول:[3]

إليـــك خليفـــة الله اســـتقلت قلائـــص مثـــل مجفلـــة النعـــام
تـــراه كالســـراة معمعمـــات إلـــى اللبـــات مـــن جِعـــدِ لُغـــام

ويقول أيضاً :[4]

وأنـــت خليفـــة الله المعلـــى علـــى الخلفـــاء بـــالنعم العظـــام
لســـيفك دانـــت الـــدنيا وشُـــدت عـــرى الإســـلام مـــن بعـــد انفصـــام

القصيدة طويلة واستخدم في بدايتها كل الصور التقليدية الدعوة بالسقيا وتحية الديار التجرد بالحديث عن الهوى ثم يصف الدابة بألفاظ بدوية فيها شيء من الصعوبة ثم ينتقل بعدها ليمدح الخليفة برفعة المكانة وحمايته للإسلام معبراً عن قوته وشجاعته بالسيف رمزا للمعنى.

---

[1]- على بن جهم،الديوان –ص٢٠٤

[2]- السابق نفسه– ص٢٠٥

[3]- السابق نفسه –ص٢٠٦

٤–السابق نفسه–ص٢٠٨

*استقل: ذهب وارتحل – القلائص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة، السراة: جميع سى – اللبات: جمع لبة وهي المنحر – الجعد المتراكم – النعام: زبد أفواه الإبل.

الفخر:

ولشدة اعتداده بنفسه يكثر الفخر في كثير من قصائده فيفخر بنفسه ونسبه ودينه وعلمه وشجاعته وكرمه ووسامته. يقول عندما صُلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أنزل:[1]

لـــن تســـلبوه وإن ســـلبتم كـــل مـــا خولتمـــــوه وســـــامة وقبـــــولا*
هـــل تملكـــون لدينـــه ويقينـــه وجنانـــــه وبيانـــــه تبـــــديلا
لـــم تنقصـــوه وقـــد ملكـــتم ظلمـــه مـــا الـــنقص إلا أن يكـــون جهـــولا
كـــادت تكـــون مصـــيبة لـــو أنكـــم أوضـــحتم ذنبـــاً عليـــه جلـــيلا
لـــو نُصـــف الأيـــام لـــم تعثـــر بـــه إذ كـــان مـــن عثـــراتهن مقـــيلا

الرثاء:

وله في رثاء المتوكل قصيدة هي من أجمل قصائده، تدل على وفاء عظيم بعد أن آذاه المتوكل. وصف في أولها سحابة جعلها رمزاً للمتوكل وفيها براعة في حسن التخلص من المقدمة للغرض يقول فيها:[2]

وســـارية ترتـــاد رُضـــاً تجودهـــا تـــغلت بهـــا عينـــاً قلـــيلا هجودهـــا
أتتنـــا بهـــا ريـــح الصـــبا وكأنهـــا فتـــاة تزجيهـــا عجـــوز تقودهـــا

ويقول:

فلمـــا أضـــرت بـــالعيون بروقهـــا كـــادت تُصِـــمُّ الســـامعين رعودهـــا

---

[1]- علي بن جهم،الديوان، ص١٨٦.

[2]- ديوانه، ص١١٣.

* الوسامة: أثر الحسن.

*السارية: السحابة تأتي ليلا.

إلى أن يقول:

ثمـــرت تفـــوت الطـــرف ســـبقاً كأنمـــا جنـــود عبيـــد الله ولـــت بنودهـــا

وخلـــت أميـــر المـــؤمنين مجـــدَّلاً شـــهيداً ومـــن خيـــر الملـــوك شـــهيدها

الوصف:

أما شعره في الوصف ففيه براعة ودقة وهو يصور الموصوف كأنك تراه وفي هذا دلالة على قوة ملاحظته ودقة شعوره وسعة خياله يقول في وصف الليل:[1]

كـــم قـــد تجهمنـــي السُـــرى وأزالنـــي ليـــل ينـــوء بصـــدره متطـــاول

وهـــززت أعنـــاق المطـــي أســـومها نصـــداً ويحجبهـــا الســـواد الشـــامل

حتـــى تـــولى الليـــل ثـــاني عطفـــه وكـــأن آخـــره خضـــابٌ ناصـــل

وخرجـــت مـــن أعجـــازه وكأنمـــا تـــز فـــي بـُـردي رمـــح ذابـــل

ورأيـــت أغبـــاش الـــدجى وكأنهـــا حـــزقُ النعـــام ذعـــرن فهـــي جوافـــل

وحميـــت أصـــحابي الكـــرى وكـــأنهم فـــوق القـــلاص الـــيعملات أجـــادل

نجد براعة التصوير تكمن في تشبيهاته من البيئة البدوية– الخضاب الناصل – الرمح الذابل جماعة النعام – الإبل الأصيلة.

---

[1]- على بن جهم،الديوان– ص١٧٦.

*الأغباش: جمع غبش وهو بقية الليل – الحزق وهي الجماعة، القلاص: جمع قلوص وهي الشابة من الإبل، اليعملات: جمع يعملة وهي الناقة النجيبة والأجادل: جمع أجدل وهو الصقر.

الغزل:

وشعره في الغزل من عيون الشعر وذلك أنه كان بطبعه ميالاً إلى اللهو والتمتع بالجمال على اختلاف مظاهره وساعد على ذلك وسامة وجهه وحسن بيانه وكونه من الطبقة العليا، ثم اختصاصه بالمتوكل ومنادمته له نحو سبع سنين، وشهوده مجالس اللهو والغناء في قصور الخلافة وله فلسفة في تفسير الهوى نجدها في قوله الذي سبق ذكره:[1]

خليلي الهوى خلق كريم ... قُصّر عنه أخلاق اللئام

وفاء إن نأت بالجار دار ... ورعيا للمودة والذمام

كأنه يرى أنه لا حياة دون لهو وغزل.

ويقول أيضاً :[2]

نزلنا ببـاب الكـرخ أفضـل منـزل ... علـى محسـنات مـن قيـان المفضّـل

فلابـن سـريج والغـريض ومعبـد ... ودائـع فـي آذاننـا لـم تبـذّل

أوانـس مـا فـيهن للضـيف حشـمة ... ولاربّهـن بالمهيـب المبجّـل

يسـر إذا مـا الضـيف قـل حيـاؤه ... يغفـل عنـه وهـو غيـر مغفّـل

ويكثـر مـن ذم الوقـار وأهلـه ... إذا الضـيف لـم يـأنس ولـم يتبـذّل

إلى أن يقول:

فبـادر بأيـام الشـباب فإنهـا ... تفـوت وتفنـى والغوايـة تنجلـي

ودع عنـك قـول النـاس أتلـف مالـه ... فـلان فأمسـى مـدبراً غيـر مقبـل

هـل العـيش إلا ليلـة طرحـت بنـا ... أواخرهـا فـي يـوم لهـو معجّـل

---

[1]- علي بن جهم،الديوان-ص ٢٠٥

[2]- المصدر السابق نفسه-ص١٨٨

* ابن سريج والفريض ومعبد من أشهر المغنيين في العصر الأموي. تبذل: ترك التصاون.

الهجاء:

قال المسعودي: (... وكان في لسانه فضل قلّ من يسلم معه منه).[1] كان يتعال على ندماء المتوكل كما ذكرنا فسعوا به إلى الخليفة وأقنعوه بأنه هجاه فلم يستبعد ذلك وكانت هذه المكيدة سبب محنته فهجا خصومه ممن عابه وأغتابه يقول:[2]

بنـــي متـــيم هـــل تـــدرون مـــا الخبـــر كيـــف يـُســـتر أمـــر لـــيس يســـتتر
حـــاجيتكم مـــن أبـــوكم يـــا بنـــي عُصـــب شـــتى ولكنمـــا للعـــاهر الحجـــر
نـــد كـــان شـــيخكم شـــيخاً لـــه قطـــر لكـــن أمكـــم فـــي أمرهـــا نظـــر
ولـــــم تكـــــن أمكـــــم والله يكلؤهـــــا محجوبـــة دونهـــا الحـــراس والسُـــتر
كانـــت مغنيـــة الفتيـــان إن شـــربوا وغيـــر ممنوعـــة مـــنهم إذا ســـكروا

فنجده في هجائه هذا لا يتورع عن هتك الأعراض وانتهاك الحرمات فيهجوهم بوضاعة الأصل.

الحكمة:

ومن الحكمة قوله:[3]

إذا اجتمـــع الآفـــات فالبخـــل شـــرها وشـــر مـــن البخـــل المواعـــد والمطـــلُ
لا خيـــر فـــي وعـــد إذا كـــان كاذبـــاً ولا خيـــر فـــي قـــولٍ إذا لـــم يكـــن فعـــل

وفي مثل هذا البيت أنشد النابغة الجعدي يقول:[4]

---

[1]- مروج الذهب، ج٢، ص٢٧٥.

[2]- على بن جهم،الديوان-ص١٢١. حاجيتكم: كلمتكم.

[3]- على بن جهم،الديوان- ص١٨٣.

[4]- القرشي،أبو زيد -جمهرة اشعار العرب-دار نهضة مصر-ج -ص٣٨

ولا خيـــر فـــي حلـــم إذا لـــم تكـــن لـــه بـــوادر تحمـــى صـــفوه أن يكـــدرا

ولا خيـــر فـــي جهـــل إذا لـــم يكـــن فيـــه حلـــيم إذا مـــا أورد الأمـــر أصـــدرا

فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم:[1] (لا يفضض الله فاك) وقيل عاش النابغة أكثر من مائة سنة ولم تتكسر له سن واحدة.

ويقول ابن الجهم:[2]

الله يعلـــم حيـــث يجعـــل أمـــره مـــا عـــالم أمـــراً كمـــن هـــو جاهـــل

وفي هذا المعنى يقول السموأل بن عادياء من شعراء العصر الجاهلي:[3]

ســـلي إن جهلـــت النـــاس عنـــاوعنهم فلـــيس ســـواء عـــالم وجهـــولُ

فطريقته على نهج القدامى واضحة وحكمه من تجاربه في الحياة.

[1]-الحدادي-زين الدين محمد- فيض القدير شرح الجامع الصغير-المكتبة التجارية الكبرى-مصر-ط١-١٣٥٦ه-ج٣-ص٤١٧

[2]-علي بن الجهم-ديوانه-ص١٨٤

[3]- البغدادي-خزانة الأدب-ج١٠-ص٣٣١

المبحث الخامس

ابن ميادة

هو الرماح بن أبرد بن ثوبان المري، ينسب إلى ظالم بن مرة من ذبيان ، وكانت مساكنهم بين فدك وخيبر في الشمال الشرقي من المدينة، وابن ميادة عربي أصيل من غطفان التي أنجبت النابغة والشماخ، وهو أحد الشعراء الذين عرفوا بأمهم فنسبوا إليها على غير عادة العرب المألوفة فينسب الرجل إلى أبيه، ويقال أنه كان أحمر مبسوط الجسم، نظيف الثياب يتطيب ويهتم بمظهره، وابن ميادة عربي صحيح النسب، صادق في ولائه لعروبته وليس في أدبه نفس شعوبي، كما أَول بعض الدارسين قوله:[1]

أنـا ابـن ابـي سـلمى وجـدي ظـالم وأمـي حصـان حصـنتها الأعـاجم
ألـيس غـلام بـين كسـرى وظـالم بـأكرم مـن نيطـت عليـه التمـائم

فابن ميادة يزعم أن أمه فارسية ، ومن ثم فقد جعل من فارسيتها مفخرة له، الأمر الذي يوهم بشعوبيته:[2] (ولكن الرجل وقد كانت أمه جارية مشتراة بالمال ولدته في ظروف غير كريمة ، رأى أن ينتحل لها نسبا ، فلما كان انتحال العروبة نسبا لها أمرا مستحيلا لأنها جارية مشتراة ، ولأنها كانت من بنات الصقلب ، وبالتالي فإن السمات العربية بعيدة عن أن تنطبق عليها فقد هدى الشاعر تصوره أن يلحقها بالفرس).

ونجد بقية أبيات ابن ميادة في القصيدة نفسها تؤكد صدق عروبته ، وابتعاده عن الشعوبية إذ يقول:[3]

---

[1]-البغدادي-خزانة الأدب-ج١-ص١٦٠

[2]-الشكعة، رحلة الشعر-ص٤٣

[3]-ابن ميادة-شعره-٢٢٧

لـو أن جميـع النـاس كـانوا بتلعـة وجئـت بجـدي ظـالم وابـن ظـالم
لظلـت رقـاب النـاس خاضـعة لنـا سـجودا علـى أقـدامنا بالجمـاجم

ويؤكد ابن ميادة عروبته ويتغنى مفتخرا بها وبانتماء قومه لها:[1]

سـقتني سـقاة المجـد مـن آل ظـالم بأرشـية أطرافهـا فـي الكواكـب

وكتب في أغراض الشعر المختلفة معبراً عن عروبته وبداوته.

أغراض شعره:

المدح:

وبعد تولي العباسيين الخلافة قصد أبا جعفر المنصور ومدحه بقصيدة يقول فيها:[2]

وكواعـب قـد قلـن يـوم تواُعـد قـول المجـد وهـن كـالمزاح
ياليتنـا فـي غيـر أمـر فـادح طلعـت علينـا العـيس بالرمـاح
بينـا كـذاك رايتنـي متعصـباً بـالخز فـوق جلالـة سـرداح*
فـيهن صـفراء المعاصـم طفلـة بيضـاء مثـل غريضـة التفـاح

ومنها في مدح المنصور:[3]

[1]- ابن ميادة-شعره-٨٣

٢-ابن ميادة -شعره- ص٩٩

٣-المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها

* الناقة البطحة – السرداح : الطويلة الكثيرة اللحم

فلئن بقيت لألحقن بأبحر ينمين لا قطع ولا انزاح
ولآتين بني علي إنهم من يأتهم يتلق بالإفلاح
قوم إذا حُلب الثناء إليهم بيع الثناء هناك بالأرباح
ولأجلسن إلى الخليفة إنه رحب الفناء بواسع بحباح*

ونلاحظ البداية البدوية التقليدية في وصف الناقة والرحلة ووصفه للممدوح بالكرم ونجده قد عبَّر عن هذه الصفة بأساليب عدة مصورة لبيئتة وثقافته البدوية.

الفخر:

ويفتخر ابن ميادة بصفاته الحسنة ورفعة مكانته التي تكون اقرب للكواكب، يقول:[1]

ا ابن ميادة تهوى ذُجبي صلت الجبين حسن مُركبي
ترفعني أمي وينميني أبي الجلالة فوق السحاب ودوين الكوكب

وقال يفخر بشعره:[2]

فجرنا ينابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر إلا شعر قيس وخندف وقول سواهم كلفة وتملح

ونلاحظ جمال التصوير لشعره بالينبوع والبحر الذي يسبح فيه الرماة وهذا ينم عن خيال واسع ومبتكر. ويقول مفتخراً بكرمه:[3]

أنا ابن ميادة عقار الجزُر كل صفي ذات ناب منفطر

---

[1]- شعر ابن ميادة – ص ٧٠
[2]- السابق نفسه – ص ٩٧
[3]- السابق نفسه – ص ١٦١
* بحباح : كثير العطاء

ونجده يكرر دائماً في فخره قوله "أنا ابن ميادة".يقول أيضاً :[1]

أنا ابن ميادة لباس الحلل

أمر من مر وأحلى من عسل

حتى إذا الشمس دنا منها الأصل

تروحت كأنها جيش رحل

فأصبحت بصعنبي منها ابل

وبالُرجيلاء لها نوح ثكل

يتبعن سدو سبط جعد رفل

ويتضح أسلوبه البدوي في ألفاظه وطريقته وذكره للإبل وصفاتها واسماء بعض الأماكن.

ويفتخر الشاعر كثيراً بأمه وينسبها إلى الأعاجم يقول:[2]

أنـا ابـن أبـي سـلمى وجـدي ظـالُم وامـي حصـان أخلصـتها الأعـاجُم

الـيس غـلام بـين كسـرى وظـالم باكرم من نيطت عليه التمائُم

لـو أن جميـع النـاس كـانوا بتلعـةٍ وجئت بجدي ظالم وابن ظالم

لظلـت رقـاب النـاس خاضـعة لنـا سجود على أقدامنا بالجماجم

---

[1]– شعر ابن ميادة –ص ٢١٨

[2]– السابق –ص ٢٢٧

*الناقة الصفي : الناقة الحلوب –صعنبي : موضع يشرق الكوفة و اليمامة

* الرجيلاء : موضع قرب صعنبي

* السدو : مد اليد نحو الشئ –رفل : بعير طويل الذنب او سابغ الذنب

ويؤكد ابن ميادة عروبته ويتغنى مفتخراً بها وبانتماء قومه لها إذ يقول:[1]

سـقتني سُـقاة المجـد مـن آل ظـالم بأرشــية أطرافهــا فــي الكواكــب

الغزل:

الغزل عند ابن ميادة يتسم بالرقة والسلاسة والعفة التي يقصد إليها وتحتشم صوره كعادة العذرين الذين تحرجوا عن إيراد الصور الخليعة.

قال:[2]

ياخليلي هجّرا كي تروحا هجمتــا للــرواح قلبــاً قريحــاً
إن تريغا لتعلما سر سُعدي تجــداني بســر ســعدي شــحيحاً
إن سعدي لمنية المتمني جمعــت عفــة ووجهــاً صــبيحاً
كلَّمتني وذاك ما نلت منها إن سُــعدي تــرى الكــلام ربيحــا

وصفها الشاعر كما نرى بالعفة وجمال الوجه، ويذكر أنه لا يبوح بسرها لصاحبه، وهذا هو نهج شعراء الغزل العفيف، ونجده يستخدم أسلوب الذكر في تكراره لاسم محبوبته سعدي متلذذاً باسمها المحبب إلى نفسه.

يقول متغزلا:[3]

وانــي علــى ســوط الهـوى ذو تجلـد أصابرهـ مـا لـم اجـد عنـه مخرجـا
ولا عــيش ألا أن تبيــت ملهوجــا على نار من تهوى وتصبح منضجاً

[1]– ابن قتيبة : الشعر والشعراء – احمد محمد شاكر – دار المعارف – مصر –١٩٧٦م – ص ١٧١
[2]– شعر ابن ميادة – ص ٩٨
[3]– المصدر السابق نفسه–ص٨٩

وألفاظه البدوية واضحة في غزله. ويقول في ام جحدر:[1]

واني لان القاك يا أم جحدر ... ويحتـل اهلانـا جميعـاً لأيـس
ومن اجلها كلفتها النص والسرى* ... وأشـعت قـد نبهتـه وهـو نـاعس
بذكراك حتى طار عن رأسه الكرى ... كمـا طـار فـرخ البانـة المتمـايس

ويقول أيضاً في أم جحدر قصيدة يقتفي فيها اثر زعماء الغزل العذري العفيف:[2]

ألا حييا رسما بذي العش مقفرا ... وربعا بذي الممدور مستعجما قفرا
ألا لا تعد لي لوعة مثل لوعتي ... عليك بأدمي الهوى يرجع الذكرا
اضربه حتى تتكَّر عهده ... حراجف يسفرن الرغام بها سفْوا
فذا العش أسقيت الغمام ولا يزل ... ترود بك الآجال مغلولًبا نضرا
فاعجب دار دارها غير انني ... اذا ما اتيت الدار ترجعني صفرا
عشية اثنى بالرداء على الحشي ... كان الحشي من دونه اسعرت جمرا
يميل بنا شحط النوى ... عداد الثريا صادفت ليلة بدرا

نجده ذكر لنا من الالفاظ البدوية والأمكنة والرياح– عدد الثريا أي ما يأتينا في السنة الا مرة واحدة – وسقيا الأرض بالسحاب والمطر والتفاف نباتات الأرض لاغلولب – كل هذه العبارات توضح مدى تاثر الشاعر ببيئته، ويوضح كذلك إحساسه بالشوق لمحبوبته ام حجدر بعد ان خرجت مع زوجها للشام.

---

[1]– شعر ابن ميادة – ص ١٦٣.

[2]– المرجع السابق نفسه–ص١٣٢

* نص الدابة : رفها في السير – السري : سير الليل

* حراجف : ج(حرجف) وهي الريح الباردة – يسفرن : يكنسن – الرغام : دقيق التراب او الرمل المختلط بالتراب

* ذو العس: موقع في بلاد بني مرة – من اودية القصيدة نواحي المدينة – المدينة : هو موقع في ديار غطفان – الآجال : جمع آجل وهو القطع من بقر الوحش. اغلولب النبت: اذا التف واغلوليت اذا التف عليها.

الوصف:

وله قصيدة في وصف الناقة من الرجز يقول فيها:[1]

حمراء منها ضخمة المكان

ساطعة اللبة والجران

كانها والشول كالشنان

من كل حمراء القرا هجان

تميس في حلة ارجوان

لو جاء كلب معه كلبان

أو لاعب في كفه نُفَّان

أو زافنان ومغنيان

ما برحت أعظمها الثماني

الّدهر أو تملأ ما تداني

من العلاب ومن الصحان*

---

[1]- شعر ابن ميادة – ص ٢٣٥

*حمراء : ناقة حمراء لم يخالط حمرتها شي– ساطعة : ممتدة – اللبة: وسط الصدر والمنحر – الجران : باطن العنق – الشنان: القربة – الشول: الابل التي اتى عليها من حملها او وضعها سبعة اشهر فخف لبنها – العلاب : جمع علبة وهي اناء من الخشب يحلب فيه اللبن – الصحان : ج صحن وهو القدح لا بالكبير ولا بالصغير

أسلوب الشاعر وطريقته في وصف الناقة توحي بأنه ما عاش في بيئة غير البادية، ولم يلتق بأهل الحضر فذخيرته من العبارات والألفاظ البدوية لا يُعلى عليها وثقافته بالإبل وصفاتها تؤكد أصالته وحبه لبيئته.

ومما يروى من شعره الجيد في حب الوطن قوله:[1]

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة بحـرَّة ليلـى حيـث ربتنـي أهلـي
بلاد بها نيطت على تمائمي وقطعت عنـي حين ادركنـي عقلـي

والصورة نجدها بدوية يحن فيها الشاعر الى منازل اهله ومرابع قبيلته ومراتعها.

الرثاء:

ونجده يرثي رباح بن عثمان المربي ويبكيه موضحاً مكانته بين قومه، يقول:[2]

مررت على الفرات فهاج دمعي مـع الاشـراق ضـجات النـواح
فقلت حواصناً يندبن بحا بناحيـة ابـن عمـك ذا الصـلاح
فما رزي العشيرة من قتيل أعـز علـى العشـيرة مـن ريـاح
سقته الساقيات من المنايا نطـاس العلـم فـواز القـداح

ويقول في رثاء الوليد بن يزيد:[3]

[1]- ابو الفرج الاصفهاني – الاغاني – ج٢– ص ٣١٨
[2]- شعر ابن ميادة – ص ١٠٤
[3]- شعر ابن ميادة – ص ٩٥

ألا لهفي على الملك المرجى غـــداة أصـــابه القـــدر المتـــاح
ألا أبكى الوليد فتى قريش واســـــمحها إذا عـــــد الســـــماح
وأجبرها لذى عظم مهيض إذا ضـــــنت بـــــدرتها اللقـــــاح*

ويظهر إحساسه بالحسرة والأسى في قوله ألا لهفي – ألا أبكى، ووصفه للمرثي بأفضل الصفات وتفرده بها مستخدماً اسم التفضيل اسمحها – وأجبرها.

الهجاء:

عُوف بن ميادة بمناوشة الشعراء وجرهم إلى ميدان المهاجاة وكأنما تحركه قوة خفية وعت صور النقائض التي دارت في زمن غير بعيد عن زمنه، يقول الأصفهاني:[1](كان غريضا للشعر، طالباً مهاجاة الشعراء ومسابة الناس...).

وابن ميادة تهاجى مع عدد كبير من الشعراء أو جرت بينه وبينهم نقائض ومساجلات عديدة غير أنها لم تتخذ شكل النقائض عند أصحابها المعروفين، وإنما كانت نقائض ابن ميادة سواء في ذلك ما قاله أو رد عليه تدور حول الشتم والسب والتحقير والسخرية، قال ابن ميادة يهجو عقبة بن كعب بن زهير:[2]

إن تك خالنا فقبحت خالا فأنـــت الخـــال تـــنقص لا تزيـــد
فيوماً في مزينة أنت حر ويومـــاً انـــت محتـــدك العبيـــد
أحق الناس أن يلقى هوانا ويؤكـــل مالـــه، العبـــد الطريـــد

[1]– الأغاني – ج ٢ – ص ٢٦٣
[2]– شعر ابن ميادة – ص ١٠٨
*جمع لقوح وهي الحلوب من الإبل

وقال يهجو علقمة بن عقيل:[1]

يابن عقيل لا تكن كذوبا

إن شربت الحزر والحليبا

من شول زيد وشممت الطيبا

جهلاً تجنيت لي الذنوبا

ونجد من الألفاظ (الشول) وهي النوق التي خف لبنها واتى عليها سبعة اشهر من يوم نتاجها، (الحزْر) من الحليب ما كان فوق الحامض. ومن نقائضه ردهِ على الحكم عندما هجا قوم الشاعر وجرّدهم من الفضائل والصق بهم ما ينال من مروءتهم قائلاً :[2]

فيامرَّ قد اخزاك في كل موطن من اللوم خلات يزدن على العسر

فمنهن أن العبد حامي دياركم وبئس المحامي العبد عن حوزة التفر

فرد عليه ابن ميادة بنقيضه من البحر نفسه والقافية والروى يقول فيها:[3]

لقد سبقت بالمخزيات محارب وفازت بخلات على قومها عشر

فمنهن إن لم تعقروا ذات ذروة لحق إذا ما احتيج يوماً إلى العقر

ومنهن أن لم تمسحوا عربية من الخيل يوماً تحت جل على مهر

ومنهن ان لم تضربوابسوفكم جماجم إلا فيشل القرَّح الحمر

فشعر ابن ميادة كما لاحظنا طابعه بدوي فقد كثر فيه ذكر الإبل وصفاتها، وكل أغراض شعره قديمة.

---

[1]- شعر ابن ميادة –ص ٨٢

[2]- الأغاني –ج٢– ص ٣٩٨.

[3]- ابن ميادة –شعره– ص ١٥٣

المبحث السادس

شعراء آخرون

ناهض بن ثومة:

هو ناهض بن ثومة بن نصيح الكلابي العامري، من بني عامر بن صعصعة، توفي نحو ٢٢٠هـ. وهو شاعر بدوي فارس فصيح من شعراء العصر العباسي، كان يقدم البصرة، فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة.[١]

ومما يروى عن بداوته القصة المشهورة التي دارت أحداثها في قرية بكر بن عاصم الهلالي:[٢] والتي مفادها أنه لم يتعرف على كثير من الأشياء التي تميزت او عرفت بها الحاضرة كالمباني وأشكال الملابس الزاهية وأنواع الطعام وغيرها من مظاهر الترف المدني كالآلات الموسيقية والقيان وغيرها، ووصفها بأوصاف مضحكة، فكلما سألوه عن شيء يضحكون عليه. ويعجب ناهض من ضحكهم، ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث، ويطرف به إخوانه فيضحكون منه.[٣]

وبقي ناهض على بداوته ينتجع بادية العراق ونواحي البصرة، وبادية الشام من نواحي حلب، (لذلك كان شعره عربياً محضاً، تتفجر فيه ثقافة الصحراء، لم تمسها لوثة المدينة، وهو شعر يجري على بديهة، مشبع بقيم الفخر الذاتي والفخر القبلي، لأن سند البادية لم ينقطع في خضم بدع المحدثين، وأن ثقافة البادية الحق لا ثقافة تشبه بها، أما علاقته بشعراء عصره، (فقد كانت له مهاجاة مع عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، كانت على نحو نقائض جرير

---

[١] -الأصفهاني -الأغاني-ج٣-ص ١٧٨

[٢] - المرجع السابق نفسه-ج٣-ص ١٧٩

[٣] - الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر - تاريخ آداب العرب- الناشر: دار الكتاب العربي.ص١٣٠

والفرزدق).[1] قال أبو الفرج: كان يهجوه رجل من بني الحارس يقال له نافع بن الأشعر الحارسي، فأثرى عليه ناهض، فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس، قصيدته التي أولها:[2]

ألا يا أسلما يا أيها الطللان وهل سالم باقٍ على الحدثانِ

أبينا لنا حييتما اليوم إننا مبينان عن يوم بما تسلانِ

إلى أن يقول:

فدع ذا ولكن قد عجبت لنافع ومعواه من نجران حيث عواني

عوى أسداً لا يزدهيه عوائه مقيماً بلوذا يذبل وذقاني

لعمري لقد قال ابن أشعر نافع مقالة موطوء الحريم مهان

ومضى في هجاء خصمه نافع بعد أن استفتح كعادة القدماء بتحية الطلل ونداء الرفاق ثم أحسن التخلص إلى غرضه من نظم القصيدة وهو هجاء نافع بقوله "فدع ذا" وواصل في الهجاء وشبهه بالذئب يعوي في الجبال (جبل يذبل وذقان) وهي تشبيهات بدوية استخدم فيها الفاظ بدوية فصيحة.

ومن أشعاره التي تصور بداوته وقدم نهجه ويظهر فيها ذكر الطلل والإبل والأماكن والجبال وفخره بنفسه وحمايته للعشيرة بلغة بدوية فصيحة ومعاني وتشبيهات مستمدة من البيئة، ومناسبتها:إن رجلا منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها، فزاحمتها، لكنها ألقته على ظهره فتكشف، فقام مغصبا بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدة، وجلاها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخا بني كلاب على الرجل، فلم يصرخوه فساق باقي إبله واحتمى بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا

[1] – النجار، إبراهيم–شعراء منسيون–دار الغرب الإسلامي–ط١–١٩٩٧–ص١٧١

[2] - الأصفهاني-الأغاني-دار الكتب-ج١٣-ص١٧٥

معه حتى أتوا حلة بني كلاب، فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعب للقتال، فتحاربوا فِي ذلك حربا شديدة، وتمادى الشر بينهم، حتى تساعى حلماؤهم فِي القضية، فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى، وترد الإبل، وترسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الإلفة، فقال فِي ذلك ناهض بْن ثومة:[1]

أمن طلل بأخطب أبدته نجاء الوبل والديم النضاح
ومر الدهر يوما بعد يومٍ فما أبقى المساء ولا الصباح
وقل لمحلة غنيت بسلمى لريدات الرياح بها نواح

إلى أن يقول:[2]

أنا الخطار دون بني كلاب وكعب إن أتيح لهم متاح
أنا الحامي لهم ولكل قزم أخ حام إذا جد النضاح
أنا الليث الذي لا يزدهيه عواء العاويات ولا النباح

وهذا نموذج آخر لشعره:

ألا حيي المنازل بين رمح وبين القهب دارسة المباني
عفاها كل أوطف ذي حبي وسافي الترب من ذات الزبان

منازل من سعاد وجارتيها ذوات الدل والسحل اليماني
ومجدول زهاه على التراقي نظائم لؤلؤٍ بين الجمان

حيا الشاعر المنازل وذكر أماكنها (الرمح والقهب) وتأثير المطر والرياح عليها، وذكر اسم المحبوبة ووصف جاراتها المنعمات المترفات.

نلاحظ أن كل أشعاره تعكس بداوته وتأثره الشديد ببيئته الجافة من خلال الألفاظ والمعاني والأسلوب، واستخدام التشبيهات من البيئة، والتزامه بالنهج القديم للقصيدة العربية، ولا نجد أثراً للحضارة أو الحياة المدنية التي تركت بصماتها التجديدية على بعض شعراء العصر.

---

[1] – الأصفهاني–الأغاني–دار الكتب–ج١٣–ص١٨٢

[2] – السابق نفسه والصفحة نفسها

أبو الخطاب البهدلي

هو عمر بن عامر بن بهدل التميمي، بصري فصيح راجز متقدم، كان الأصمعي يتخذه حجة ويروي شعره.[1] وقد ذكره ابن النديم (من بين فصحاء العرب).[2] اتصل بموسى الهادي والفضل بن يحي البرمكي، وقيل:[3] (إن موسى كان لا يأذن لأحد من الشعراء مدة أيام خلافته، ولا يرغب في الشعر، ولا يلتفت إليه، وقد أنهمك في الشرب والقصف، وكان مشغوفاً بالسماع، فلما قال أبو الخطاب البهدلي رائيته سألني فأوصلتها إليه، فلما سمعها أعجب بها شديداً وقال للحاجب: اخرج إلى الباب فمر من ينادي: أين نسابة الأسد؟ ففعل. فلما سمع أبو الخطاب ذلك علم أن شعره قد وصل وعمل عمله. والشعراء مجتمعون – فقال: هأنذا. وأخذ الحاجب بيده وأدخله البيت. فقال: هات أنشدنا، فأنشده قصيدته الرائية، فاستحسنها موسى وأعجب بها، وأمر في ذلك اليوم ألا يحجب عنه شاعر، وأن يعلموا أن أبا الخطاب كان السبب في ذلك. وأمر لأبي الخطاب بألف دينار وكساه وحمله والقصيدة مشهورة وهي هذه:[4]

ماذا يهجيك من دار بمحنية	كالبرد غير منها الجدة العصر
عفت معارفها ريح تنسفها	حتى كأن بقايا رسمها سطر
لن يؤمن الناس من لم يؤمنوا أبدا	والله يؤمن من آووا ومن نصروا
لا يكسر الناس ما شدوا جبائره	وليس يجبر طول الدهر من كسروا
أنت الدعامة يا موسى إذا احتدمت	نيرانها وحماة الحرب تجتزر
وإن غضبت فما في الناس من بشر	إلا على خطر ما مثله خطر

[1] – ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي– طبقات الشعراء– تحقيق:عبد الستار أحمد فراج– دار المعارف – القاهرة–ط٣– ص١٣٢.

[2] – الرافعي– مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر– تاريخ آداب العرب –الناشر: دار الكتاب العربي.ص١٣٢

[3] – ابن المعتز – طبقات الشعراء– ص١٣٢.

[4]- المرجع السابق نفسه-الصفحة نفسها

فهو – كما نرى – مقتدر على الكلام، مجيد للوصف حسن الوصف قد جمع إلى قوة الكلام محاسن المولدين ومعاني المتقدمين.[1]

ومما يستحسن له قوله:[2]

وقد اغتدى قبل ضوء الصباح وقبل ورود الغطاط الحثاث
بصاقي الثلاث قصير الثلاث طويل الثلاث عريض الثلاث
محجل رجلين طلق اليدين له غرة مثل ضوء الإراث
ذا احترث القوم ما عندهم فإن الجياد تكون احتراثي

قيل: [3]أهدى رجل من أهل البصرة إلى أبي الخطابِ البهدلي خروفاً مهزولاً، فقال أبو الخطاب: [4]

أهدى إلينا معمرٌ خروفاً كانَ زماناً عنده مكتوفَا
يعلفهُ الكشيحَ والسفُوفَا والفارقونَ بعده مُوفَا
حتى إذا ما صار مُستجيفَا أهدى فأهدى قصباً ملفوفَ
جُلَ جلداً فوقه وصُوفا وكانَ منْ فعاله موصوفَا

وتعكس كلماته روحه المرحة، وسخريته اللطيفة.

وله أيضاً في الرجز:[5]

أما ترين البهدلي قد نحل
وصار يمشي مشية فيها خطل
على ثلاث أرجل فيها عصل
واحدة في كفه من الأثل
كسرطان البحر يمشي في الوحل

---

[1]-ابن المعتز –الطبقات– ١٣٤

[2]- المرجع السابق نفسه-الصفحة نفسها

[3] – ابن النديم، أبو الفرج محمد ابن اسحق–الفهرست–تحقيق ابراهيم رمضان–دار المعرفة بيروت–ط٢–١٩٩٧–ج١–ص٦٩

[4]- المرجع السابق نفسه-الصفحة نفسها.

[5] –الجاحظ–البيان والتبيين–ج١–ص٦

ومما يستجاد له قوله للفضل بن يحيى بن خالد:[1]

تشاغل الناس ببنيانهم والفضل في بنا العلا جاهد
كل ذوي الرأي وأهل النهى للفضل في تدبيره حامد

وأشعار أبي الخطاب كثيرة جيدة، وهو أحد العرجان، وقد ذكره الجاحظ في كتابه. وزعموا أنه بلغ من معرته وخوف الناس بادرة لسانه أن يبعث بعصاه إلى الأبواب في حوائجه، فلا تحجب العصا عن أحد، ولا ينهنه حتى تقضي حوائجه. ومما سار له قوله:[2]

قلت لرجلي وهي عوجاء الخطا تشكو إلّي وجعاً من النسا
ومن أذى العرق وفي العرق أذى مري فهيهاتك من أخذ العصا
لا تطمعن في الذي لا يشتهي وفي تسعيك الذي لا يرتجى
كم بين قول الغانيات: يا فتى وقولهن: شاب هذا وانحنى
وقد نظرن اليوم من قبح الجلا جبين وجه وجبينا في القفا
أسره منهن كيما لا يرى ولو بدا رمين رأسي بالحصا

خاطب رجله العرجاء وهي تشكو ألمها، ألا تطمع فيما تشتهيه، وكأنه يشكو فقره ويصف حاله بين الغواني بأنه كبر في سنه ولم تعد له حظوة عندهن.

،

[1] –البغدادي– محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون–التذكرة الحمدونية–دار صادر بيروت–ط١١٤١٧هـ–ج٩–ص١٩٨

[2] –ابن المعتز–طبقات الشعراء–ص١٢٥

أبو شُراعة:

هو أحمد بن محمد بن شراعة القيسي شاعر عباسي من شعراء البصرة في القرن الثالث، (جمع بين قبح الخلقة وسماحة الخلق، صحب الجاحظ ورثاه عند موته، وصحب دعبل الخزاعي وعبد الصمد المعذل الجماز وغيرهم.عمّر طويلاً ،من أشعر أهل زمانه، ونقل شعره عن طريق ابنه أبو الفياض سوّار).[1]

قال أبو جعفر:[2] قلت لأبي شراعة: كم أتى عليك من السنين؟ وكان مُسناً . قال: ثنتان وتسعون سنة. ...وعاش أبو شراعة بعد ذلك دهراً طويلاً، وكان جيد الشعر مليح المعاني صاحب نظر، وعاش إلى أيام المتوكل، وكان قد مدح المهدي بن المنصور. وكان المتوكل يحسن إليه ويقول: هذا مدح آبائي وأسلافي.

وهو القائل فيه:[3]

ما بال سعدى أخلفت ميعادي وتيسرت لقطيعتي وبعادي
أسعادُ هل ذنبٌ سوى أني امرؤ شغلت محبتكم علي فؤادي
ولقد دنوتِ وكنت غير بخيلة حتى إذا أطمعت في الميعاد
برقت بوارقُ من نوالك خُلّبٌ كذب العداة صواعق الإيعاد

يقول المبرد:[4]وكان أبو شراعة حليماً مألوفاً ، جميل الخلق، كريم العشرة، وكان يقول من الشعر ما يجانب به مذاهب المحدثين، ويقترف طريق الماضين وأهل البادية؛ فشعره عربي محض، ومن أشهر قصائده في المديح:[5]

إليك ابن موسى الخير أعملت ناقتي جلّلةً يضفو عليها جلالها
كتوم الوجى لا تشتكي ألم السرى سواء عليها موتها واعتلالها

---

[1] -الأصفهاني- الأغاني-ج٢٣-ص٢٢

[2] - طبقات الشعرا: ابن المعتز-ص ٣٧٤

[3] المصدر السابق نفسه-ص٣٧٥

[4] - الحصري،ابراهيم بن علي تميم-جمع الجواهر في الملح والنوادر-تحقيق علي محمد البجاوي-دار الكتب المصرية١٩٥٤- ص١١٦

[5] الأصفهاني-الأغاني-ج٢٣-ص٣٣

إذا سقيت أبصرت ما جوف بطنها وإن ظمئت لم يبد منها هزالها
وإن حملت حملاً تكلّفت حملها وإن حطّ عنها لم أبل كيف حالها
بعثنا بها تسمو العيون وراءها إليك وما يخشى عليها كلالها
وغذّى مغذّينا بصوتٍ فشاقني متى راجعٌ من أُم عمرو خيالها
أحب لكم قيس بن عيلان كلها ويعجبني فرسانها ورجالها
وما لي لا أهوى بقاء قبيلةٍ أبوك لها بدٌر وأنت هلالها

كعادة الأقدمين بدأ بالناقة ووصفها وصفاً حسياً ومعنوياً، وذكر المحبوبة أم عمرو وطيفها.
وله من نهج القدامى ذكر الطيف فهو يقول:[1]

طاف الخيال ولات حين تطرب أن زار طيف موهناً من زينب
طرقت فنفرت الكرى عن نائم كانت وسادته ذراع الأرحبي
فبكى الشباب وعهده وزمانه بعد المشيب وما بكآء الأشيب

يقول الأصفهاني:[2] وقد تجمعت فيه أخلاق المواساة والبذل والإيثار، ويقال وقف عليه يوماً سائل فرمى إليه بنعله انصرف حافياً، فعثر فدميت أصبعه فقال في ذلك:

ألا أبالي في العلا ما أصابني وإن نقبت نعلاي وحفيت رجلي
فلم تر عيني قط أحسن منظراً من النكب يدمى في المواساة والبذلِ
لست أبالي من تأوب منزلي إذا بقيت عندي السروايل والنعل

وهذه الأخلاق الكريمة عربية بدوية أصلية.

[1] –الأصفهاني –الأغاني–ج٢٣–ص٢١
[2] –المرجع السابق نفسه–ص٢٢

أبو فرعون الساسي:

اسمه شويس، أعرابي بدويٌّ، فصيح اللسان قدم البصرة قدم البصرة يسأل الناس بها، وكانت له أشعارٌ طريفة.[١] وهو شاعر عباسي، ينسب إلى قرية الساس أسفل واسط، وفي بعض الكتب الشاشي، وهو من أبناء أواخر المائة الثانية، شعره معظمه رجز، وأغراض شعره لا تخرج من ذكر الفقر وتصاريفه يذكر ابن النديم له ديواناً بثلاثين ورقة ضاع أكثره.[٢]

ومن قوله، في عمر بن حبيب القاضي:[٣]

كفاني الله شركَ يا ابن عمي ... فأما الخيرُ منكَ فقد كفاني

قال أبو محرز الكوفي:[٤] أتى أبو فرعون الساسي أبا كهمس التاجر فسأله، فأعطاه رغيفاً من الخبز الحواري كبيراً، فصار إلى حلقة بني عديٍّ، فوقف عليهم وهم مجتمعون، فأخرج الرغيف من جرابه، وألقاه في وسط المجلس وقال: يابني عدي استفحلوا هذا الرغيف، فإنه أنبل نِتاج على وجه الأرض، قالوا: وما ذاك؟ فأخبرهم، فاجتمعوا إلى آبى كهمس التاجر فقالوا: عرضتنا لأبي فرعون وقد مزقنا كل ممزق.

ومما يستملح له –وكان من أفصح الناس وأجودهم شعراً، وأكثرهم نادرة– قوله:[٥]

رأيت في النوم بختي ... في زي شيخ أرتِّ
أعمى أصم ضئيلا ... أبا بنين وبنت
فكيف لي بدواءٍ ... يلين لي بطن بختي؟

وهو القائل أيضاً :[٦]

ليس إغلاقي لبابي أن لي ... فيه ما أخشى عليه السرقا
إنما أغلقه كي لا يرى ... سوء حالي من يجوب الطرقا
منزلٌ أوطنه الفقر فلو ... دخل السارق فيه سُرِقا

---

[١] – الجراح–الورقة–ج١–ص١٣

[٢] –المصدر السابق نفسه

[٣] –الجراح–الورقة– ج١–ص١٤

[٤] – ابن المعتز – طبقات الشعرا – ٣٧٤

[٥] – المرجع السابق نفسه–ص٣٧٥

[٦] – المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها

لا تراني كاذباً في وصفه لو تراه قلت لي قد صدقا

وله أيضاً :[1]

وصبية مثل فراخ الذر سود الوجوه كسواد القدرِ
جاء الشتاُء وهم بِشَرٍّ بغيرٌ قمص وبغير أُزر
حتى إذا لاح عمود الفجر وجاءني الصبح غدوت أسري
وبعضهم ملتصق بصدري وبعضهم منحجر بحجري
أسبقهم إلى أصول الجدر هذا جميع قصتي وأمري
فارحم عيالي وتول أمري كنيت نفسي كنية في شعري

أنا أبو الفقر وأم الفقر

ومن قوله في الرجز:[2]

أنا أبو فرعونَ زينُ الكُوره حسنُ شيءٍ مِشيةً وصوره
تضحكُ إن مرتْ به ممكُوره ضحكَ الأفاعي في جِرابِ النوره

ويرتجز أيضاً :[3]

يا أخوتي يا معشر الموالي
أنا ابنكْم وأنتُم أخوالي
هذا زبيلي وجِرابي خالي
والماُء عالٍ والدقيقُ غالي
وقد مللنا كثرةَ العيالِ

[1] – طبقات الشعرا: ابن المعتز –ص٣٧٧

[2] – الثعالبي–أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل–ثمار القلوب في المضاف والمنسوب–دار المعارف القاهرة–د.ت–ج١–ص٤٢٩

[3] – الجراح–الورقة–ص١٣

وهذه القصيدة من خيار شعره والذي أخذ فيه طريق الجد كلمته في الحسن بن سهل، وقد أجمع الناس على حسنها وفصاحتها وهي قوله:[1]

سُقياً لحى باللوى عهدتهم منذ زمان ثم هذا عهدهم
عهدتهم والعيش فيه غرة ولم يناو الحدثان شعبهم
ولم يبينوا لنوى قذافة تقطع من وصل حبالي حبلهم
فليت شعري هل لهم من مطلب أو أجدن ذات يوم بدلهم
الناس أشباهٌ كما قد مثلوا وفيهم خير وأنت خيرهم
حاشا أمير المؤمنين إنه خليفة الله وأنت صهرهم

ونلاحظ مما تقدم أن معظم أشعاره في الرجز يشكو فيها حاله وفقره، بطريقة مستملحة لطيفة، وبلغة بدوية بسيطة فصيحة، ليس فيها من الحوشي المستغرب من الألفاظ.

[1] – طبقات الشعرا: ابن المعتز –ص٣٧٧

الأحيمر السعدى:

نسبه ليس مرفوعا، وجاء في سمط اللآلئ هو الأحيمر بن فلان بن الحارث بن يزيد السعدي، من شعراء الدولتين.[١]

وكان الأحيمر لصّا كثير الجنايات، وطرده قومه لكثرة جناياته،[٢]وخاف السلطان، فخرج فى الفلوات وقفار الأرض. ويقول السعديّ:[٣] (كنت حين خلعني قومي وأطلّ السلطان دمي وهربت وتردّدت في البوادي، فظننت أنى قد جزت نخل وبار، أو (قد)قربت منها، وذلك لأنّى كنت أرى فى رجع الظباء النوى، وصرت إلى مواضع لم يصل أحد إليها قطّ قبلى، وكنت أغشى الظباءبهائم الوحش فلا تنفر منّى، لأنّها لم تر غيرى قطّ. وكنت آخذ منها لطعامى ما شئت، إلا النعام، فإنّي لم أره قط إلا شاردا فزعا).

ويعلن تمرده على واقع الفقر، ففي إعلانه لصوصيته تمرد على السلطة وقوانينها. يقول:[٤]

وإنـــي لأســـتحي مـــن الله أن أُرى	أجـــرِّر حـــبلاً لـــيس فيـــه بعيـــرُ
و أن أســـألَ المـــرءَ اللئـــيَم بعيـــرَه	وبعـــرانُ ربـــي فـــي الـــبلادِ كثيـــرُ
عوى الذّئب فاستأنست بالذّئب إذ عوى	وصـــوّت إنســـان فكـــدت أطيـــر

فإنه يستحي من الفقر لا من السرقة. ويعودهذا الأمر إلى أن له موقفاً وسلوكاً وفهماً خاصاً لمسألتي الحق والصواب. فالبعران كثيرة، وهو يبيح لنفسه أن يأخذ منها ما يشاء.

---

[١] –البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز –سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي–تحقيق عبد العزيز الميمني–دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان–د.ت–ج١–ص١٩٥.

[٢] – الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي– حماسة الخالديين بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين –تحقيق: الدكتور محمد علي دقة– الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية– ١٩٩٥م.ج١–ص٤٥

[٣] – الدينوري، عيون الأخبار– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – دار الكتب العلمية –بيروت ١٤١٨ هـ–ج٢ص١٠٤

[٤] – السابق نفسه–ج٢–٧٧٤

أما تصوير الشاعر وإلفته لوحوش الصحراء، وعزلته فيها فيوحي بما في حياته الاجتماعية من سوء دفعه إلى الفقر والتشرد ومصاحبة الحيوان الوحشي. إذ يقول:[1]

أُراني وذئبَ القفرِ إلفين بعدما ... تدانى كلانا يَشْمئزُّ ويذْعُر

تألفني لما دنا وألْفُه ... وأمكنني للرمي لو كنتُ أغدُر

ولكنني لم يأتمنّي صاحبٌ ... فيرتابَ بي، مادَام لا يتغيرُ

قال متغزلاً :[2]

وقالت أرى ربع القوام وشاقها ... طويل القناة بالضحاء نؤوم

فإن أك قصدا فى الرجال فإننى ... إذا حل أمر ساحتى لحسيم

تعيرنى الإعدام والبدو معرض ... وسيفى بأموال التجار زعيم

وهنا وصف المحبوبة كما يصف الجاهليون محبوباتهم بالقوام الممشوق، وكنى عن الترف والنعيم بأنها نؤوم الضحى، ثم افتخر بأنه يحسن التصرف وأفتخر ببداوته وفقره وقدرته في نهب الاموال بالسيف. وفي وصيته قال:[3]

من القول ما يكفي المصيب قليله ... ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله

يصد عن المعنى فيترك مانحاً ... ويذهب في التقصير منه يطاوله

فلا تك مكثاراً تزيد على الذي ... عنيت به في خطب أمر تزاوله

[1] – الدينوري، ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم –الشعر والشعراء–دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ–ج٢–ص٧٧٥

[2] – القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون– الأمالي–تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي–دار الكتب المصرية–ط٢–١٩٢٦–ج١–ص٤٩

[3] – ابن رشيق، ابو علي الحسن– العمدة في محاسن الشعر– تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد–دار الجيل –ط٥–١٩٨١–ج١–ص١٣٤

ومعاني الحكمة واضحة في الأبيات وإسدائه النصح، وهذا يدل على فطنته واستفادته من تجاربه التي تاب عنها. وقال بعد توبته:[1]

قل للصوص بني اللخناء يحتسبوا بز العراق وينسوا طرفة اليمن
ويتركوا الخز والديباج يلبسه بيض الموال ذوو الأعناق والعكن

أشكو إلى الله صبري عن زواملهم وما ألاقي إذا مرت من الحزن
لكن ليالّي تلقاهم فتسلبهم سقياً لذاك زمان كان من زمن

فرب ثوب كريم كنت آخذه من القطار بلا نقد ولا ثمن

ويتضح لنا من شعره اعتداده ببداوته، وثباته على مبدأ الصعاليك الفلسفي في حياتهم الذي لا يتحرجون منه، و يبررون لسرقاتهم بأنها تحقيق تكافل اجتماعي وتحقيق لمبدأ المساواة بين الناس.

[1] – القالي، الأمالي–ص٤٩